



الشيخ زعرب وآخرون



الأهداء

معجزات هذا البلد في عصرنا ثلاث :

« أسمى كل يوم » ، « ربيع الوهاب » ، « الريحاني » ،

وقد سبق أن أهديت كتابي « أغنيات » ، إلى المعجزتين الأولى والثانية . ويبدو لي أن المعجزتين إما تجهلان القراءة ، أو تجهلان الذوق ، لأنهما لم تشعراني بأنهما أحسنا بالإهداء . وأشعر رغم ذلك أن من واجبي أن أهدى كتابي هذا إلى المعجزة الثالثة . يشجعني على ذلك أنها خرجت عن نطاق البشر وأضحت في عداد الأرواح وأنها بذلك ستجنبنى — لا محالة — مشقة جحود الأحياء .

فإلى روح « الريحاني » أهدى كتابي هذا ، فهو

أحق من سواه .

بـ « الشيخ زعرب وآخرون » ،

يوسف البباهي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا الكتاب توأم لـ د أبو الريش ، . . والتوأمان مصريان أصيلان منتزعان من عجم الحياة المصرية الأصيلة . . بين الحوارى والدروب . . أو بين د أبو الريش وجنيئة ناميش . . واثن كان رابط القصص فى مجموعة د أبو الريش ، هو عامل المسكان . . فإن رابطها فى الشيخ زعرب هو الشخصية . . والرابط فى كلا التوأمين كما قلت مصرى أصيل . . ولذا فليس هناك حداً فاصلاً بين التوأمين .

فالشيخ زعرب وآخرون قد يعيشون فى د أبو الريش وجنيئة ناميش ، وما بينهما . . . وكذلك قد تحوى دروب د أبو الريش وجنيئة ناميش ، الكثير من أمثال الشيخ زعرب وزملائه .

ولست أدري ما إذا كان هذا النوع من القصص المحلى الفكاهى الساخر يرضى جمهرة قراء البلاد العربية كالعراق وسوريا ولبنان ومراكش وغيرها من الشقيقات الناطقات بالضاد والذين يشاركون القراء المصريين فى استيعاب جزء كبير من إنتاج الأدب العربى .

لست أدري مدى رضا هؤلاء الإخوان عن مثل هذا النوع من الإنتاج ولما يمكن الذى أدريه هو أن هذا النوع شىء

واجب .. فهو لا يعدو تسجيل لوحات كائنة في حياتنا ..
بل إنها هي حياتنا فعلاً .. وإذا لم يسجل الكاتب حياة قومه ..
فمن سجلها ؟

بقيت كلمة أحب أن أوردتها في هذا التقديم .. وهي
دهشى من ذلك الانزعاج الشديد الذى يصيب البعض عندما
يصطدمون — على حد قولهم — هنا وهناك ببعض الأغلاط
اللغوية .

وإني أوافقهم على أن هذه الأخطاء على قلتها أشبه
بالآتربة التى قد تؤثر تأثيراً ظاهرياً على بهجة الكتاب ..
ولكن أعتقد أن مهمة الإزالة هذه توكل دائماً إلى
المصححين ، وأن الكتاب يمر قبل الظهور على ما لا يقل
عن أربعة من ذوى العيائن والنمائم .. فإن بقيت به بعد ذلك
أتربة فهو تقصير من مزبلى الآتربة اللغوية أو كناسى اللغة .

ولكن ذلك لا يجب أن يدعو البعض إلى مثل هذا الانزعاج
الذى يبدونه ، فاللغة أولاً وآخرأ لا تزيد عن وسيلة للتعبير
وصحتها تقاس بقدرتها على إفهام الغير ما تود قوله ، والتأثير
على نفسه بما فى نفسك وإشراكه معك فى تفكيرك ومشاعرك .
وإذن فمن الخطأ أن نباشرها كشىء معقد فى ذاته ،
ثقيل فى مباشرته ، بل يجب أن تكون لدينا الجرأة فى
التحلل من كثرة قيودها وتعدد نظمها وقواعدها ،
وتشكيلاتها وتصريفاتها .

وإني أعتقد أن الزمن كفيّل بذلك . . فهو جار فعلا في تخفيف اللغة بما يناسب تطور التفكير ، ولست أشك في أن تسعة وتسعين في المائة من القراء لا يشعرون قط بما قد يصادف هؤلاء البعض من الأخطاء التي تصدمهم وتزعجهم . وما دامت أمثال هذه الأخطاء وهي غير متعمدة لا تحس بين الأغلبية الراضية . . فليس على الأقلية المنزعجة إلا أحد أمرين : إما تعوّدها حتى تصبح في حكم الصواب ، وإما إراحة أنفسهم بتصحيحها في سكون .

إن مباشرة اللغة العربية كحرفة معقدة مليئة بالنظم والقواعد شيء يجب أن يزول .

وهو أمر يحتاج إلى جرأة قدير كجرأة « داتى » ، حينما ترك اللغة اللاتينية جانبا وجعل من الإيطالية المحلية لغة أدب .

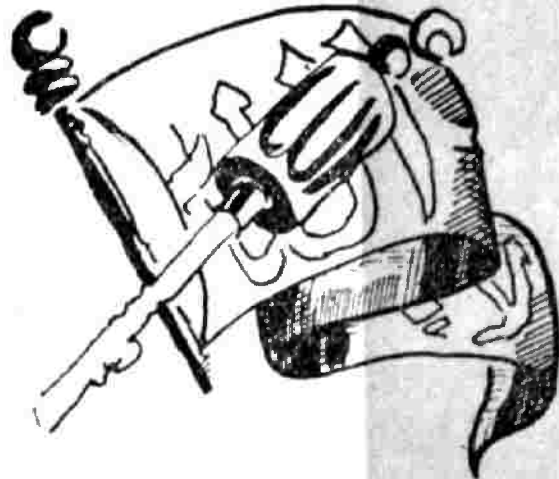
وبعد ، أرجو ألا يكون فيما كتبت مزيد من إزعاج لمحترفي اللغة .

برسيف الباعى

الغلاف بريشة الفنان الحسين فوزي
صور الكتاب بريشة الفنان كرك

الشيخ زعرب

ما زالت مصر بلد العجائب والمتناقضات . . .
وهذا الخليط في ميدان الغفير خير شاهد على
ذلك . . . فداخل المراق وخارجه يبدو أكبر
تناقض يمكن أن تقع عليه عين . . . تحت
المراق تصطف الحكومة المصرية الفاخرة . . .
وخارج المراق يحتشد الشعب غير الفاخر .





قبل أن أقص عليك قصته .. تعال معي نجول جولة في وجهه .

رويداً .. رويداً .. حتى لا نضل بين الأخاديد والتجاعيد والوهاد والتجاد .. لنبدأ من فوق لتحت ، .. من أعلى قمة له .. حيث يقوم طرف زر بلا زر .. قصير أشبه بعقب السيجارة .. يعتلى طربوشاً .. ليس به من سمات الطرايدش إلا هيكله المنهار الجوانب المطبق الجدران ، أما اللون فأسود أغبر تكوّن من خليط من تراب وعرق ، ولنهيّط بعد ذلك إلى وجهه ، فنستقر على جيئنه برهة .. حيث يصادفنا أول نتوء في منتصف الجبين .. نتوء أشبه بكاللو وارم منتفخ .. رفعت عنه حافة الطربوش التي بدا من أسفلها شيء أشبه بحرف طاقية بيضاء .. أو منديل رأس .. يعصب به الرجل رأسه حتى لا يكبس ذلك الطربوش على نافوخه ، وتمر بالنتوء البارز أخاديد متعرجة متوازية تنحدر يميناً وشمالاً في جبين الرجل حتى تصل إلى الأذنين .. يقطعها من أسفل أخدودان رأسيان يمران بين العينين ويستقران على أعلى الجبهة في وجه الرجل ، والنتوء من أهم الظواهر في جبين الرجل ، وهو لا يستمد أهميته هذه من هيئته الطبيعية

بل من قيمته المعنوية . . فهو بمثابة مواهب ومستندات
وشهادات على ولاية الرجل ، وإدماة الصلاة والعبادة
والسجود .

إن هذا البروز . . هو زينة الصلاة . . وآية الورع
والتقوى .

لنعبّر زينة الصلاة . . أو كاللو الدين والولاية . .
ولنهبط بين العينين فنستقر على أرنبة الأنف ولنقلب البصر
ذات اليمين وذات اليسار بين العينين والأذنين .

فأما الأذنان فعريضتان . . كأنهما جناحا خفاش أو
أذنا حمار ، وأما العينان فمن الجور أن نسميهما عينين . .
فهما لا تعدوان أخذوداً أكثر عمقاً يتمم أخايد الجبين ،
ولولا ارتجاف في الجفن بين آونة وأخرى ، ولولا تعودنا
أن نحد عينين في هذا المكان من الحلقة الأدمية ، لما اعترفنا
بعيني الرجل ، ولما أحسنا لهما وجوداً ! .

أما وقد توقفنا أمامهما ، واعترفنا بوجودهما . . فليس
هناك بد من التمعن فيهما ، والتحقق في أوصافهما . . الرموش
أو بقايا الرموش دائمة مسبلة ، والجفون مغلقة مطبقة . .
فإذا ما فتحت دفعت إلى الذهن قول شوقي « مقروح الجفن
مسده » . فلا أظن هناك مثلاً أفضل منها للجفون المقروحة

الدائمة الذابطة ، ويعلم الله أمن سهد قرحها أم من رمد . . !
على أية حال . . إن الرجل من أولياء الله وعشاق الرسول . .
فهو والحال كذلك يدخل في زمرة العشاق ، وسهد العشق
لايستبعد على مثله ! .

فإذا ما تركنا العينين إلى الأنف ، وجدنا أنفه هيئة ضخمة
محترمة . . تشغل من فرط عرضها وضخامتها ثلثي مساحة
الوجه ، وهو من حيث الشكل أشبه بالطربوش السابق
الذكر . . ليس له هيئة محدودة . . بل هو منبعج مفرطح ،
ملىء بالمسام والشعيرات .

فإذا هبطنا من الأنف ، وجدنا أنفسنا قد استقررنا فجأة
على الشفة العليا . . أو بتعبير أصح الحافة العليا للفم . . دون أن
نعبر المسافة المفروضة أن توجد بين الأنف والشفة التي ينبت
فيها الشارب في الوجوه الآدمية الأخرى ، ويعلم الله . .
إذا كان لتلك المنطقة المسترة وجود في وجه الرجل . .
أم لا وجود لها فإن طرف الأنف قد تدلى ، حتى أخفى
ما وراءه . . فبدأ شارب الرجل وكأنه قد نبت من طاقى
أنفه ، واختلط بذقنه البيضاء الشعثاء الهابطة من شحمى
الأذنين إلى منتصف الصدر ، والتي يحيط بها . . المستند الثانى

لولاية الرجل ، وهو المسبحة المعلقة حول عنقه المدلاة على صدره . .

استرح برهة ، وخذ نفسك . . فأغلب ظنى أن الملل والتعب قد أصابك من تلك الجولة المنهكة في هذا الوجه المقفر الخرب .

لا تريد أن تستريح ! . ذنبك على جنبك .. هيا بنا وراء الرجل لنرى إلى أين يذهب .

إن اليوم لديه يوم مشهود فقد ارتدى بدلة الشريفة الكبرى ، وأخفى هلاليله بعباءة فضفاضة حمراء خضراء وأمسك في يده عصا المرشالية وهي أشبه بالعصى التى تستعمل في تنظيف الأسقف والى توضع في نهايتها (رأس العبد) . لا تختلف عنها إلا في أن زعرب استبدل بالعبد كلمة (الله) منقوشة على صفيحة أشبه بشخشيخة تتدلى منها شرابة كانت فيما مضى (دكة لباس) ! .

لنذهب وراءه . . حتى يستقر المقام بنا وبه في أرض الغفير حيث الاحتفال بالمحمل .

الميدان فسيح . . قد اصطفت في منتصفه قوات الجيش ما بين فرسان ومدرعات ومشاة ، والجنود متأهبة والمدافع منصوبة . . كأننا في ميدان قتال ، والنداء يعلو من مكب



الصوت فهتز الاسلحة وترتفع وتنخفض ، والله وحده
يعلم ماصلة كل هذا بالمحمل .

لننتظر .

أين المحمل ؟ وأين الشيخ زعرب ؟ .

هاهما هناك .. فى أحد أركان الميدان ، وأمامهما صفت
السرادات المقامة فى واجهة الميدان وقد تكأ كأ فيها حشد
من القوم يتطلعون بأبصارهم فى لهفة .. إلى لاشئ ..
ويتشوقون إلى مشاهدة ماسبق أن شاهدوه عشرات المرات
بلا تغيير ولا تبديل .

وتبدو بضعة جمال .. بينها جمال مصبوغ بالحناء ، وقد
وضع على رأسه منفضة .. أى والله منفضة ريش لا تختلف
قيد أنملة عن المنافض التى يزيلون بها التراب عن الأثاث ،
ويأخذ الجمل فى البعجة والكركرة ، ثم يجذب قائده مقوده
إلى أسفل ويبركه على الأرض ، ويأخذ طابور من جنود
بلوك الحفر المرتدين الفانلات الصوف البنى فى حمل الهودج
المستقر بجوار الجمل ليضعوه على ظهره ويشبته به .

ويرفع الجنود الهودج بعد أن يحيطوا به من كل ناحية
فى الوقت الذى ينطلق فيه الصياح من حناجر طقم المحمل ،
منشدين بصوت نشاز بضعة أناشيد لا يفهم لها معنى ..

ملفتين حول الجمل المبارك ، وبينهم الشيخ زعرب يهتز مترنحاً
وقد رفع عقيرته بالغناء .

يظل الهودج يتمايل بين يدي الجنود ، وهم يحاولون
تثبيته على ظهر الجمل ، والثلة العجيبة ، من الأولياء وأهل الله
ترنخ وتمايل وتنشق فاغرة أفواهها كالغربان وقد تكون
منهم خليط مضحك يعجز أقدر المسارح الكوميديّة عن
إخراج مثله . . . ففي خلقهم عجب ، وفي لبسهم عجب . . . تراهم
ما بين أكرش منبعج ، وهزيل نحيل ، وأعرج وأكّتع
وأحذب وأعور . . . قد غطوا أجسادهم بعباءات صفراء
ووضعوا على رؤوسهم عمامات بدت في مجموعها أشبه بقوس
قزح . . . فهذا قد لف عمامته بشال بنفسجي ، وذاك بشال
فستقي ، والآخر بشال أحمر انجليزي .

وينتهي القوم من تثبيت الهودج على الجمل . . . عندما
تسمع في الجو أصوات صفافير وقرقة متوسيكلات . . .
ثم تبدو عربة حمراء فخمة أنيقة ، وينطلق صوت المكبر
أمراً الجنود :

« سلام نائب الملك » .

فترفع الأسلحة وتنخفض ، وتبدأ المدافع قصفها
والموسيقى عزفها .

ويقف زعرب وسط جمهرة الأولياء . . يقلب البصر
فيما حوله . . ثم يرفع شفته السفلى . . اشمئزازاً ، ويهز
رأسه عجباً !

كل شيء كما هو . . لا جديد في ميدان الغفير . .
ولا في غير ميدان الغفير .

ما زالت مصر بلد العجائب والمتناقضات ، وهذا الخليط
في ميدان الغفير خير شاهد على ذلك . . فداخل السرادق
وخارجه يبدو أكبر تناقض يمكن أن تقع عليه عين .

داخل السرادق . . تصطف الحكومة المصرية الفاخرة ،
وخارج السرادق يحتشد الشعب المصرى . . غير الفاخر .

ويأخذ المحمل فى الاستعداد للتحرك ، وتصطف أمامه
صفوف من الجنود بالملابس البيضاء ، ويعلو صوت المكبر
صائحاً : « سلام المحمل سلاح سلام ، ا .

وتصيح الموسيقى ، ويبدأ المحمل سيره فى لفة
ضيقة ، وقد سار وراءه موكب من الجمال . . يعلوها ناخفو
المزامير وبعض المشاة من أولياء الله ، واندس بينهم الشيخ
زعرب .

وبدأ الشيخ زعرب يعد اللفات فى سره .
طبعاً سيلف المحمل سبع لفات كما يفعل فى كل سنة ا

عجبا .. لم كانت سبعا ، وليست ستا أو ثمانى ؟ .. هذا
شيء عليه عند أهل الدين .
ولكن ما السبب لأن يلف المحمل حول نفسه فى ميدان
الغفير ؟ . وما السبب فى وجود كل هذا الجيش ؟ .
علم ذلك عند الله وحده .

ويبدأ قصف المدافع .. والشيخ زعرب لا يخاف
شيئا كهذا الدوى .. فهو يذكره بأيام الغارات .. وأخذ
جسده ينتفض عقب كل طلقة .. وأخذ يرفع بصره
مستنجداً بالمحمل .. ثم انتقلت عيناه من هودج المحمل
إلى الهياكل الخشبية التى وضعت عليها الكسوة الشريفة
وقد طرزت عليها بالقصب آيات قرآنية كتبت بخط جميل
تشابكت حروفه .

وهز زعرب كتفيه فى عجب ! وساءل نفسه : ماذا يضيرهم
لو كتبوها بطريقة مقروءة ؟ ! أم تراهم كتبوها غير مقروءة
من أجل الذين لا يعرفون القراءة ؟ !

وانتهى المحمل من لفاته السبع .. وبدأت القوات
العسكرية تتحرك للبرور فى الاستعراض .. ووقف زعرب
يرقب ذلك الجمع الهائج المائج ، وشرده به الذهن إلى زمن
مضى يبدو له غير بعيد ، كأن السنين الغابرة التى تفصله عنه

قد تقلصت وانكمشت ، فبات منه على قيد ليال وأيام
أو بات أقرب إليه من أمسه القريب .

كان أول عهده بالمحمل منذ خمسين عاماً ، وقد جلس
يرقبه من طابوقة أبيه في حي الحسين ، وكان الناس
قد تكأ كأوا في الشارع حتى لم يبق هناك موطئ لقدم . .
واشتد الازدحام في النوافذ وفوق الأسطح حتى بات الناس
كأنهم ذباب حط على قطعة حلوى !

وبدت بشائر الموكب وظهر المحمل يتهادى ، ووراءه
المزامير تنفخ والأناشيد تتلى والدعوات تتعالى ، وبين تلك
الأصوات المختلطة كان يعلو صوت صرخات حادة ، وأخذ
زعرب يبحث عن صاحب الصوت . . حتى وقع بصره على
مخلوق عجيب قد لف في أسمال حمراء خضراء صفراء زرقاء
بيضاء سوداء ، وأحاط عنقه بقلائد من الودع وصغار
المحار ، وأخذ يقفز ويتواثب ويتراقص وراء المحمل صارخاً
بأعلى صوته : « أنا في جاء النبي » !

وسأل أباه عن هذا المخلوق الراقص الصارخ ، فأجابه
بأنه الشيخ كتكوت أحد مجاذيب الحسين ، وهو رجل به
(هفة) تدفعه كل عام إلى أن يعدو وراء المحمل بهذه الهيئة
ولا يهدأ له بال حتى يشيع المحمل إلى نهايته .

وتعود بعد ذلك أن يرى الشيخ كتكوت كل عام وهو يعدو وراء الموكب مستغيثاً بجاء النبي ، وانطبعت صورة الرجل في ذهنه على هيئته تلك ، ولم يعد يتصور أن الرجل يمكن أن يكون إلا على هذه الحالة من العدو والصياح .. حتى كان ذات يوم وقد جلس في الطابونة بجوار أبيه يرقب أقفاص العيش الخارجة ويرصد الحساب الداخل ، ويأمر وينهى بين الخبازين والفرانين عندما سمع عواء أشبه بعواء كلب جريح وصيحات متتابعة « حرامى ، .

وترك مقعده واندفع إلى خارج الطابونة يتبين جلية الأمر .. فإذا به يرى الشيخ كتكوت يعدو ، ولكنه كان هذه المرة بلا محمل يتقدمه ، بل بموكب من الرجال والصبية يعدون وراءه .. ينهالون عليه بالعصى والطوب وهو يطبق بجنونه على رغيف في يده ويصيح بأعلى صوته ، كما تعود أن يصيح : « أنا في جاء النبي ، ، ولكن كان هناك في هذه المرة ما يستحق الاستغاثة .

وتكاثر القوم على الشيخ كتكوت .. يحاولون نزع الرغيف من يده .. منهلين عليه بالسباب والشتائم ، وكان الرجل قد بلغ باب الطابونة ، ولم يجد أمامه ملجأ سواه .. فأنحرف فيه فجأة مخفياً داخل الطابونة مبتعداً عن مطاردة الناس له .

وتكأ كأ القوم على الباب ، ووقف زعرب في طريقهم
يمنعهم من الدخول ، وصاح به أحدهم :

— إمسك الشيخ كتكوت الحرامى .. المجرم .. لقد
رأيت به عيني يسرق الرغيف من فوق القفص .

وبلا تفكير مد زعرب يده إلى أحد الأقفاص
المرصوفة في الداخل وأعطاه للقوم ، وصاح بهم :
— ما هذا الضجيج .. إن الرجل لم يسرق شيئاً .. ها كم
الرغيف المسروق انصرفوا وشأنكم .

وتفرق القوم مخذولين محسورين .. فما كانت المسألة مسألة
رغيف ... بل كانت رغبة في الأذى وحباً في الشر ..
والتفت إلى الداخل فوجد الشيخ كتكوت يقف وراء
كوم من الأقفاص وقد أطبق بأسنانه على الرغيف يقضمه
بنهم وعجلة كأنما يخشى أن يستعيده منه القوم .

ومضت عليه برهة وهو في مكانه لا يريد الانصراف ،
أو كأنه قد أضحي في مأمن لا يود تركه .

ولكن زعرب أنبأه أنه يستطيع الانصراف بالرغيف
آمناً مطمئناً ، دون أن يخشى شيئاً .. وعاد إلى داخل
الطابونة .. فسأله أبوه عما هناك فأخبره بما رأى وما فعل .
واستحمقه أبوه ، وانهاه عليه باللوم والتقريع ، وأنبأه

أن هذا الرجل الذى أحسن إليه بالرغيف لا يستحق الحسنة
لأنه يملك آلاف الجنيهات .. جمعها من التسول .. إنه يعرفه
تمام المعرفة ، وأنه إنما يدعى الجوع والفقر ليأخذ ما يريد ..
وأصر على أن يخصم ثمن الرغيف من مصروفه .. حتى يعطيه
بذلك درساً لا ينساه .

ومرت السنون ، واختفى المحمل ، واختفى معه الشيخ
كتكوت ومات أبو زعرب .. وآلت إليه الطابونة بما فيها
وأضحى هو صاحب الأمر والنهى .

وأثمر فيه درس أبيه .. فلم يحاول أن يحسن قط .. بل
كان كل همه هو جمع المال .

وانتعشت أعماله ، وزاد رزقه واتسعت موارده ..
وبلغ أوج مجده وارتفعت قمة غناه ، واطمأن إلى الدهر ..
حتى خذله الدهر فجأة .. عندما حدث حريق فى الطابونة
ذات ليلة .. فأتى عليها وأودى بما فيها ، وأصبح عليها الصبح
التالى فإذا بها خليط من هشيم ورماد .

وكانت صدمة مروعة عنيفة .. لم يبق منها حتى الآن ..
وانحدر به الحال .. حتى بات لا يجد له مرقداً ولا مأوى
إلا على قارعة الطريق بجوار الحسين وسط تلك التلة من
المجاذيب والأولياء .

وهكذا دخل في زمرة المجاذيب ، وطبعته السنون بطابع
أولياء الله ، وأنبت له الزيبية السالفة الذكر ، واتخذ مكانه
المختار على مصطبة قيل له إنها كانت من قبل لرجل يدعى الشيخ
كتكوت ، كان من أولياء الله الصالحين لم يرتكب في حياته
سيئة أو يفعل منكراً ، سوى أنه سرق رغيفاً ذات مرة
عندما ضاق به الحال حتى أوشك أن يموت جوعاً ! .
وصاح زعرب بمحدثيه :

— إن الشيخ كتكوت لم يسرق .. فقد رد الرغيف
إلى أصحابه .

ومن أدري بذلك سواه ؟ !

ووجد زعرب نفسه يسير في ذلك الطريق الذي سلكه
سلفه الشيخ كتكوت ، ولم يكمد الاحتفال بالمحمل يعود
إلى سابق عهده بعد طول اختفاء .. حتى اتخذ زعرب مكانه
وراء الموكب .. يعدو راقصاً صائحاً ، أنا في جاه النبي ، ! .

□ □ □

وعاد زعرب إلى نفسه وأفاق من شروده .. عندما
بدأت المدافع تطلق تحية لنائب الملك وهو يهيم بالانصراف ..
وتحركت العربة الفخمة تليها بقية العربات في عجلة وتزاحم
كأنها في سباق .

وبدأ الموكب يستعد للسير . . هابطاً إلى شارع العباسية
ثم شارع فاروق وقد تكأ كأ الناس على جوانب الطريق
واحتشدوا في النواقد والشرفات .

وأخذ سيل المجاذيب يتدفق وراء المحمل ، وانطلقت
الزغاريد وتعالّت المزامير ، والطبل البلدى ، وأضحى الموكب
أشبه بزفة راقصة .

واتخذ زعرب مكانه وسط المجاذيب ، وبدأ في الرقص
والصياح . . عندما مر بذهنه فجأة قول الرسول : « إني مباه
بكم الأمم يوم القيامة » .

وتلفت حوله باحثاً فاحصاً وحاول أن يجد فيما حوله
شيئاً يستحق أن يباهى به الرسول ، ثم هز رأسه متشككاً
وقال لنفسه :

« شتما أخشى أن نخذلك يا رسول الله » . . وسرعان
ما أبعد عنه خواطره ثم اندفع في الرقص والصياح :
« أنا في جاه النبي » . !

وأخيراً انتهى الموكب . . أو الزفة ، ووجد زعرب
نفسه يعود في النهاية إلى جحره متعباً مكدوداً وقد نال منه
الإعياء ، وأحس بتمارصة الجوع فما دخلت جوفه لقمة

واحدة طوال اليوم ، ولم يكن يملك شيئاً يستطيع أن يشتري به طعاماً ، ومر بخاضره أن حرفاً واحداً من تلك الحروف المختلطة التي طرزت بها الكسوة . . . كان يمكن أن يهيء له ولعشرة من أمثاله وليمة نخمة ، ولكن من يدري بوجوده أو يشعر بجوعه !

ووقع بصره فجأة على حانوت للعيش قد رصت في دولاب في واجهته الأرغفة وقد أخذ سطحها المنتفخ يبرق متورداً . . . وخطر له أن يمد يده فيخطف رغيفاً ، ولكنه تذكر الشيخ كتكوت وتذكر مصيره عندما سرق الرغيف وتخيّل كل سكان الشارع وقد أخذوا يعدون وراءه ، ويشبعونه ضرباً ولطماً . . . كأنه بسرقة الرغيف قد ألماتهم جوعاً .

ووقف برهة يحملق إلى الأرغفة شارد الذهن غارب البال . . . عندما أحس بيد توضع على كتفه وسمع صوتاً يناديه :

— تفضل يا شيخ .

وتلفت وراءه فوجد صاحب الحانوت بصديريته المخططة وسرواله الطويل ، وجسده النحيل وقد مد يده إلى الدولاب فأخرج أحد الأرغفة وأعطاه له .

هذا آخر ما كان يتوقعه ..

وأخذ زعرب الرغيف في إطراق وصمت ، وبدأ له
كأنه يعرف صاحب الوجه من قبل .. ولكنه لم يتذكر
أين رآه . ولا من هو .

وقبل أن ينصرف زعرب قال له الرجل :
— احضر إلى كل يوم حتى أعطيك رغيفاً .. سأجعله
راتباً يومياً لك .

وتتم زعرب ببعض الدعوات ثم أدار ظهره وهمّ
بالانصراف .

ولكنه لم يكد يخطو خطوة حتى أبصر صيداً يفد على
الحانوت ويصبح بصاحبه :
— اعطني أقتين يامعلم كتكوت .

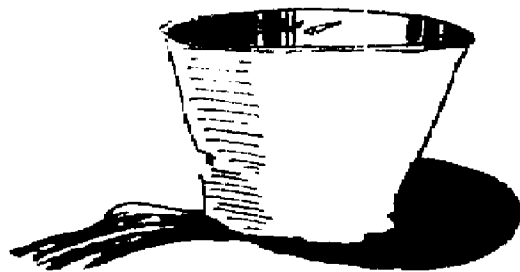
كتكوت ! .. كتكوت ! .. أجل لقد تذكر .. إن
هذا الشبه هو شبه الشيخ كتكوت بعينه .. إن الرجل
لاشك ابنه .

عجباً ! .. أبعد هذا العمر الطويل .. يرد الدين بالربح
المركب ؟ !

حقاً .. ! ففعل المعروف وارمه البحر ، فهو لاشك
مردود إليك وإلى ذريتك من بعدك ! ! .

حسن افندی

هذه قصة يرويها « طربوش حسن أفندي » .
هل سمعتم عن حسن أفندي ؟ أجل . . أجل . .
انه هو حسن أفندي الشهير صاحب النكتة اياها .
ماذا تقولون ؟ . . ان بعضكم لا يعرفها !
وأنظفون مني أن أرويها لكم . . لا . . لا . . عيب
جداً . . هذا كلام لا يروي . . ان كل ما أستطيعه هو
أن أدع « طربوش حسن أفندي » يروي قصته .



أنا لا شك طربوش قدير .. طربوش و بهلوان ، ..
ولو لم أكن كذلك لما استطعت أن أستقر لحظة
على رأس حسن أفندى .. من فرط و ماعوجنى ، على حاجبه
الأيمن .. إني لا أكاد أبصر نفسى فى المرأة حتى يصيبنى الذعر
ويخيل إلى أنى سأهوى من فوق رأسه .. ومع ذلك .. فما
هويت قط .. بل استطعت أن أحفظ بتوازنى دائماً ، حتى
فى الأوقات الحرجة التى ينهمك فيها حسن أفندى فى تلعب
حواجه على سبيل و البصيصه ، ..

إن حسن أفندى رجل بصباص .. لا يشغل رأسه فى
الحياة شئ كالنساء .. وهو لذلك شديد و العياقة ، .. وكل
و عياقه ، تنصب على وعلى شاربته

إنى أبصره الآن أمامى ، وقد عمد فى قرائشه .. وعلا
شخيره وصفيره .. وبدأ منظره كأقبح ما يكون إنسان ..
وقد تعرى جلبابه عن ساقين كالجرید .. ومال كرشه على
أحد جوانبه ، وانفرجت شفتاه الغليظتان فى بلاهة لتخرج
أنفاسه الصاخبة .. وتهدل شارباه .. وأسبل جفناه ، وغطى
رأسه بطاقة بيضاء مخططة .

كانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر .. وقد تناول

حسن افندى غداه فى « المسمط » القائم على ناصية الشارع
والذى تعود أن يتناول فيه غداه كل يوم حتى لقد مللت أنا
نفسى منظر لحة الراس وفتة الكوارع .

وبدأ حسن افندى يتقلب على جنبه . . ويفرك يديه
أجفانه ، ويتأب ويتمطى ، ثم نهض من فراشه أحمر العينين
منتفخ الوجه ، ودس قدميه فى القبقاب . . وسار يقرع به
أرض الجبرة متجهاً إلى الحمام .

وسمعتة « يتنخم ويتمخط » ثم بدأ يرفع عقيرته بالغناء
صائحاً بصوته النشاز :

« يا مالك قلبى بالمعروف .. حبك كوانى تعالى شوف ..
وأخيراً خرج من الحمام ، وقد أغرق رأسه ووجهه
بالمياه ، وأمسك بمنشفة ، أو على الأصح بمسحة - فقد كانت
من فرط قذارتها لا تصلح إلا لمسح البلاط - ، ووقف أمام
المرأة يمشط رأسه بتؤدة وعناية .

وخلع الرجل جلبابه . . ووقف بالقميص « الكريشة »
واللباس « البفته » الواصل إلى ماتحت ركبتيه وأخذ يتحسس
عضلاته ، ويحرك يديه إلى أعلا وإلى أسفل فى شبه تمرينات
رياضية .

ومد يده فسحب القميص من فوق المشجب وأخذ

فى ارتدائه ، وأحكم ربط الكرافة حول الياقة المنشأة التى
قد علامها إطار من العرق والقذارة ، ثم دس ساقه الرفيعتين
فى بنطلون أخرجه من تحت مرتبة السرير .

وآتم الرجل ارتداء ملابسه . . واطمأن على المنديل
الحريرى فى جيب الجاكتة . . وعلى كتينة الساعة فى جيب
الصديرى . . وأخذ يفتل شاربیه بعناية بالغة ، واضعاً عليها
بعض الكوزماتيك .

وبدا عليه الرضا التام . . ومد يده إلى فنقرنى بأصبعه
بضع نقرات أثار بها من جسدی هاجع الأثرية . . فعلتنى
سحابة قائمة من الغبار . . وأخذ يمسحنى بكمه بشدة حتى انجلى
عنى معظم ما بى ، وأحسست بشيء من الخفة والنشاط .
ونظر إلى المرأة ووضعى على رأسه بعناية بالغة ، وميل
شديد على أحد حاجبيه .

وخيل إلى أن ميلى على حاجبه فى هذه المرة أكثر من
المعتاد . . وبدأ لى من حركاته أنه مقدم على أمر جلل . .
وخاصة بعد أن أبصرته يمسح حذاه فى ساقى بنطلونه .
وأخيراً . . وبعد أن اطمأن على منظره تماماً . . تناول
عصاه ، وغادر الحجرة هابطاً الدرج فى ثقة واعتزاز .
وكنت أعرف طريقه الذى لا يحيد عنه ، ووجهته التى

لا يقصد سواها .. وهى دكان الأسطى زكى المزين . الكائنة
فى شارع خيرت ، فهو يهبط من البيت فى شارع الناصرية ،
فيلقى التحيات ذات اليمين وذات اليسار ويرفع بصره خلسة
إلى النوافذ على بها ما « يشبرق » به نظره .. ثم يتمهل برهة
أمام « المقلة » .. حيث يحشو جيوبه باللب الجر نه والفول
السودانى ، ويتحرك بعد ذلك قاصداً « عم على الشربتلى » ..
حيث يتوقف أمام البرطمانات الزجاجية الشفافة .. المليئة
بالليمون والخروب والعرقسوس والتمر هندی ، ويتحسس
بيده « السطل » النحاسى الذى تندى سطحه المثلج بقطرات
الماء ، ويطلب كوباً من الخروب .

ويرحب به « عم على » أيمًا ترحيب ويمديده إليه بشوب
الخروب ، فيأخذ فى تناوله يتمهل وترو .. وعيناه ترقبان
نافذة « أم زكية » الكائنة أمام دكان الشربتلى ، فلا يكاد يلح
ابنتها زكية .. وقد عصبت رأسها بمنديل تدلت منه « الأوية »
الملونة على جيبتها ، وأخذت « تطرقع » باللبانة بين شذقيها ،
حتى يبدأ عملية البصبة ، وأرتجف أنا فوق حاجبيه وأهتز
وأحس كأن أسفلى زلزال .. ويأخذ حاجباه فى الصعود
والهبوط .. وأنا أتمايل كأنى بهلوان على حبل ، أطلب من الله
السلامة .. وأخشى بين لحظة وأخرى أن أفقد توازنى

ويختل مقامى . فأهوى على الأرض .
وأخيراً . . . وبعد أن أكون قد أنهكت من فرط
الاهتزاز وتلعيب الحواجب . . تصل إلينا ضحكة رنانة منطلقة
من شفتى « زكيه » مستقرة في قلب حسن افندى . . فتثبت
حواجبه ، ويتصلب جسده ، كأنه « مريوح » ، وتظل عيناه
عالقة بالنافذة والكوب مثبت على شفتيه . . حتى تختفى الفتاة
من النافذة .

ويتمالك الرجل نفسه ويستعيد قواه . . فيتحرك بعد
ذلك متجهاً إلى شارع خيرت . . فإذا صادفه أحد باعة التين
الشوكى ، توقف أمامه وأخذ في انتقام التينة بعد التينة حتى
يزدرد عشر تينات ، ثم يستقر بعدها على مقعده أمام دكان
الحلاق .

كان هذا هو برنامج صاحبي اليومى الذى لا يحدد عنه . .
وكان فى جلسته عند الأسطى زكى . . لا يفعل شيئاً سوى
البصبة .

وبصبة حسن افندى تكون بإحدى طريقتين : إما
بصبة فى حالة الثبات . . أو بصبة فى حالة الحركة .

فى الحالة الأولى . . يجلس حسن افندى على المقعد
منتفخ الأوداج . . وقد وضع ساقاً على ساق . . وأخذ

يرقب الغاديات والرائحات ، مستعيناً في مغالتهن ، بلسانه
وحاجبيه .

والرجل لا يستثنى في مغالته عجزاً أو صبية . . فهو
مندفع في بصبسته بلا تمييز ولا روية . . كأن عليه واجباً
لا بد من تأديته . . وهكذا تندفع التشبيهات من فمه كأنها
السيل . . « يابت ياللى زى الجوزيه ، . . يا باشا ياللى زى
البغاشه ، . . هز يا وز ، . . أنا أموت فى المهلبيه ، . .
« نظره ياست يا ام العواجز ، . . « إيه ده ياسى محمد .. إحنا
سمنا قوى ، .

ويستمر حسن افندى في مغالته . . حتى تمر به امرأة
تدخل في « مزاجه » وتثير نشوته فينتقل من حالة الثبات
إلى حالة الحركة ، ويتحول من المغازلة الشفوية إلى المغازلة
العملية . . فيترك مقعده ويهرول وراء المرأة . . ويظل
يطاردها حتى بيتها . . وأحس حينذاك بالعرق يتصبب دونى
وأراني قد تزحلق حتى صرت في مؤخرة رأسه وأخيراً
يعود من حيث أتى .

ورغم كل هذه المغازلات من حسن افندى . . ورغم
جريه فى الشوارع وراء النساء ، فقد كنت أعلم أن واحدة
فقط هى التى تسيطر على تفكيره ، وتتحكم فى زمام قلبه . .

وهي « زكية ، بنت « أم زكية ، .

• • •

خرج حسن افندى من باب الدار .. وانتظرت أن يتجه إلى « المقلة ، كما يفعل كل يوم .. فيحشو جيوبه باللب والفول ، ولكن لم يفعل .. بل رأته قد تجاوزت المقلة .. واتجه إلى دكان المعلم حسونه الحلوانى ، وأخذ ينقل بصره فى محتويات الدكان .. من بسبوسه ، وكنافه ، وجوزيه ، وعلب ملبن ، وملبس ، وشربات .

وأخيراً طلب من المعلم حسونه أن يزن له رطلا من البسبوسة ، وآخر من الكنافة ، وأن يلفهما له مع علبتين من الملبن ، وخرج الرجل من الدكان حاملاً اللفة .. وأنا فى دهشة مما ينوى أن يصنعه بذلك ، وزادت دهشتى عندما رأته يتجاوز حانوت الشربتلى ، ثم ينتقل إلى الرصيف الآخر ، ويدخل فى بيت أم زكية .

إذاً فهذا هو الأمر الجلل الذى ينوى فعله .. وهذه الحلوى هدية للفتاة .

ما شاء الله .. أية جرأة تلك التى أصابت الرجل .. وماذا تراه مختلفاً من أسباب الزيارة ؟

وصعد الرجل الدرج ثم توقف أمام باب الشقة ، ونقر

الباب بأدب ، فأجابه صوت نسائي : « مين ، ؟
وفتح الباب .. فإذا بنا أمام زكيه وجهاً لوجه .
كان أول ما لفت نظري ونظر صاحبي .. في زكيه هو
مجرى العبير من نهديها فلقد كانت الفتاة ترتدى قيصاً واسع
فتحة الصدر بحيث أبدى ما بين النهدين في وضوح وجلال .
ووقف حسن افندى مبهوراً مأخوذاً ، وقد ثبت بصره
على صدرها ، ومضت لحظة وهو لا ينبس ببنت شفة ..
حتى صاحت به الفتاة :

-- ده إيه ياختي ده .. ماتكلم !! عايز إيه !!
وتكلم حسن افندى فأنبأها في صوت متلجلج أنه يريد
الست أم زكيه .

وعادت الفتاة تسأل متخابثة :

-- نقول لها مين ؟

-- حسن .. حسن افندى المناويشي .. جاركم ومفتش
مراجيح القاهرة بوزارة الشؤون الاجتماعية .
وعلا صوت من الداخل يصيح :

-- إتفضل ياسي حسن .. أهلا وسهلا .. خليه يخش .
يابنت في أودة المسافرين .

وأفسحت البنت الطريق وسارت أمام حسن افندى



وقد انتقل بصره من نهديها إلى ردفيها . . وقد أخذنا بهتزان
في رجرة منتظمة داخل القميص المتسع .

وأخذت أطل على الفتاة من فوق رأس الرجل ، وقد
أصابتنى أنا الآخر النشوة . . إنني ما توقعت قط أن أراها
بمثل هذا النضج والامتلاء . . إن الرجل والله معذور .

وعلا صوت أم زكية مرة أخرى يصيح :

— اعملي قهوه يابنت لسي حسن ، دي خطوه عزيزه .
وخرجت زكية من الحجرة وحسن افندى محملاً بصره
مأخوذاً مذهولاً . . وأنا حائر فيما ينوي الرجل طلبه من
المرأة .

وبعد لحظات أشرقت عليه أم زكية بأكداس اللحم
والشحم التي علت جسدها والكحل الذي أغرق عينيها . .
والأساور التي رصت في معصمها . . ولسانها الذي لا يهدأ
فيها لحظة واحدة .

وبدأت المرأة حديثها مرحبة بحسن افندى بقولها :

— أهلا وسهلاً . . أهلاً وسهلاً . . داحنا زارنا النبي
ياسى حسن افندى .

— أهلاً بك يا ست ام زكية . . محسوبك حسن افندى
المنابيشى مفتش . . .

-- عارفك يا خويا عارفك .. وهو فيه كام حسن
افندى فى حتننا .. إسم الله عليك وعلى مقامك .. دانت
نورت البيت .

-- الله ينور عليكى .

-- يا مرحباً .. يا مرحباً .

واستمر الطرفان يتبادلان التحيات بلا توقف ، وكنت
على حال من القلق ، جعلنى أضيق ذرعاً بهذه التحيات المتتالية
كأنها طلقات مدفع ما كينة .. وتمنيت لو يدخل صاحبنا فى
الموضوع رأساً ، حتى أعرف أى أمر جلال ، قد دفعه إلى
المغامرة بدخول بيت أم زكيه .

ولم يكن هناك شك فى أن إقدام مثل صاحبنا الذى
أستقر على رأسه على دخول بيت مثل بيت صاحبتنا التى
تستقر أمامى بطياتها وثنياتها .. أمر يعتبر فى الحقيقة مغامرة
كبرى .

حقيقة إن حسن افندى رجل بصباص .. وحقيقة أن
مظهر الست زكيه لا ينم على كثير وقار أو حشمة ، ولكن
ذلك لا يمنع من اعتبار دخوله بيتها مغامرة .. لأن قدرة
حسن افندى فى مسائل البصبة قدرة نظرية ، وأسلحته فى
معارك الغزل لا تعدو الحواجب واللسان ، وهجماته فى

مبادين الغرام لاتزيد على العدو في الطرقات والتوصيل إلى
الأبواب .

والست زكيه ليست بالمركب السهل ، ودخول دارها قد
يكون هيناً لبصباح عملي « ابن حنت » . . أما السيد حسن
افندى ، الخائب إلا من بعيد ، الغريق في شبر من الماء ،
فقد كان دخوله للدار بمثابة إلقاء بنفسه إلى التهلكة .

وأحسست بالعرق يتصبب من أسفلى ، وأخذت أنزلق
هابطاً رويداً رويداً على الأذنين ، وازداد الارتباك
بصاحبي بعد أن انتهى سيل التحيات المتدفق من فم المرأة ،
وران الصمت ، وأخذت المرأة تتطلع ببصرها إلى حسن
افندى ، منتظرة أن يفصح عن رغبته . . وكان على صاحبنا
أن يقول شيئاً ، ولكنه لم يفعل سوى أن مديده ودفعني
إلى الوراء ثم إلى الأمام بحركة عصبية ، كأنما يريدني أن
أتحدث عنه .

ومالى أنا وهذا الشأن . . أنا لم أقل له إذهب إلى أم زكيه
وما كان لى أى علم بما ينوى أن يفعله .

قل ما شئت يا حسن افندى . . تحدث .

وأخيراً تحسست يده علبه الحلوى التى بجواره . . حيث
وجد فيها منقذاً إلى حين ، فدفع بها إلى الست أم زكيه قائلاً :

— اتفضلى يا ست . . حاجه بسيطه . . على ما قسم . .
شوية حلويات .

— من يد مانعدها ، وليه ياخويه التعب ده ؟
— تعبك راحه يا ست ام زكيه ، إحنا خدامين .
— والنبي أمير وزى السكر ، ولا يجيب الحلو إلا الحلو .
واحمر وجه حسن افندى ، حتى أصبح فى مثل لوفى ،
وبدأ سيل آخر من المديح المتبادل . . ساعد على إنقاذه
من ورطة الصمت .

وأخيراً انتهى المديح كما انتهت التحيات . . وعادت
المرأة تتطلع ببصرها إلى وجه حسن افندى .
تكلم ياسى حسن الله لايسينك ، قل ماذا تريد ؟ وأرحنى
وأرحها .

وأخيراً ، وبعد جهد مشكور ، أخذت شفتاه تنطبقان
وتفتحان استعداداً للحديث ، ثم بدأت الكلمات تخرج من
بين شفتيه مضطربة مترددة ، قال لافض فوه :
— والله يا ست زكيه ، أنا أصلى طول عمرى . . من
غير مؤاخذه . . .

ثم كف الرجل فجأة عن الحديث ، وأخذ يحمق بعينه
إلى الباب .

معذور .. معه حق .. لقد حملت أنا الآخر .. فقد
بدت زكيه تحمل بين يديها صينية عليها شراب أحمر أغلب
ظني أنه شربات ورد .

إن هذه الزيارة لن تنتهى على خير ، هذا الأحمق القابع
أسفل لن يخرج من هنا سليماً
لقد أقبلت زكيه بعد أن أبدلت ثوبها .. لا بأكثر
احتشاماً ، بل أكثر عرياً .

كان الثوب الجديد أحمر انجليزى فى لون الشربات الذى
تحمله ، وكان بلا أكمام ولا صدر ، ولا شيء أبداً .. لقد
تدلت ذراعيها بيضاوتين ناصعتين ممتلئتين من فتحة كم متسعة
أبدت كل ما حول منبت الذراعين من أعلى الكتف إلى
أسفل الإبط .

وتقدمت الفتاة نحونا وكأنها خطر داهم .. وأخذت
تقترب من صاحبنا الواجم الشارد الفاجر الفاه ، ثم انحنى
مقدمة له كوب الشربات .

وفى انحناءتها المقصودة انحسر صدر ثوبها وهبطت كرتا
نديها مستندتان على صدر الثوب المنحسر وخرج شعاع البصر
من عيني حسن افندى متجاوزاً الشربات عابراً فتحة الصدر ،
مستقراً على الكرتين البيضاوتين .. المتدليتين فى تناقل كأنهما
كرتا عجيب .

وازدرد الرجل ريقه ، ومد يداً إلى الكوب ويداً إلى
يدفعني بها إلى مؤخرة رأسه ، وانطلقت منه تهيدة طويلة .
ومالى أنا ، إنه وحده السبب ، ليتحمل نتائج مغامرته ،
إنه ليس حمل زكيه ولا أم زكيه .

وعندما تناول الكوب . استدارت متجهة إلى الباب ،
وحسب الخطة الموضوعة لم تكذب سير بضع خطوات حتى
انحنيت لتلتقط شيئاً من الأرض . . لست أدري ما هو . .
على أية حال ، الشيء لم يكن بذى أهمية ، المهم هو الانحناءة
نفسها . . فكما انحسر صدر الثوب فكشف الثديين ، انحسر
ذيله ، فكشف عن الساقين ، وما أدراكم ما الساقين . .
أما عن اللون فأبيض مخدوم ، أعنى أبيض بض مسحاً
كالرخام . . ليس به أثر لمسام ولا شعيرات ، أما عن التركيب
أو الكسم ، فامتلاء مسحوب إلى أسفل مع غمازتين فى باطن
الركبة ، واستدارة دقيقة فى الكعب ، وقد بدا جزء من
باطن الفخذين بادی الاكتناز ، ناصع البياض . . تتخلله
شعيرات من عروق دقيقة خضراء متشعبة من غمازتى ثلثتى
الركبتين .

يا هوه ١١

كان ذلك هو لسان حال صاحبنا ، وقد وضع شفثيه

على كوب الشربات ، وعينه على كيزان العسل .
واختفت زكيه .. وحسن افندى مازال محملاً والكوب
في يده لم يذق منه قطرة .. وابتسمت « أم زكية » في خبث
ورفعت أحد حاجبيها .. وقد ملأتها الثقة في نجاح خطتها
الهجومية الرائعة بالتدين والساقين .. وقالت في لهجة ملحنة:
— ما تشرب يا حسن افندى ياخويه .. الشربات ده
مش عاجبك والا إيه ؟

وقال حسن افندى كمن أفاق فجأة :
— عاجبنى ، عاجبنى أوى .. ياست أم زكيه .
ومرة أخرى ران الصمت وعادت أم زكيه تنتظر ..
كما ينتظر القط .. فأرأ على وشك الوقوع .
وطال الصمت بصاحبنا وهو غريق في وجهه واضطرابه
وأخيراً قالت أم زكيه :

— خير ياسى حسن افندى خير .
— خير ياست ام زكيه .. أنا أصلى جاى .. علشان ..
أصلى كنت بقول لو كان ممكن
— إيه هوّا بس اللي لو كان ممكن ؟
— أتجوز بنتك زكيه .

يا نهارك اسود .. يا حسن افندى ا... كده مره

واحدة .. جواز خبط لزق ! .

ويبدو أن المرأة لم تكن تتوقع قط أن يبلغ انتصارها هذا الحد ، فقد بدت عليها دهشة سرعان ما أخففتها ثم قالت في لهجتها المنغمة :

— يا سلام يا حسن افندى .. غالى والطلب رخيص ..
زكيه ، وأم زكيه ، وأهل زكيه كلهم فداك .
ولم أدر ما قال حسن افندى بعد ذلك .. فقد كان في حالة ذهول وارتباك ، ولم أكن أقل منه ذهولا ولا عجباً .
وهكذا اتضح في النهاية أن صاحبنا الغبي قد أتى ليطلب القرب من أم زكيه .

ودهشت وأصابني حنق على الرجل ، فقد كنت أعلم أن القرب من أم زكيه ، وزكيه .. شيء غير مأمون العاقبة ، وأن البعد عنهم كما يقول المثل غنيمة .

لا أطيل عليكم .. لقد رحبت المرأة بحسن افندى أيما ترحيب ، ولم تمض بضعة أيام حتى حدث القرب فعلاً ..
وانتقلت أنا وصاحبي وبقية الكراكيب إلى بيت أم زكيه .
مرت الأيام ، وبدأ لي أن أحسن افندى لم يعد كما عهدته من «العيافة» والانشراح ، فقد أضحي موضعي الدائم في رأسه هو المؤخرة .. وهو الموضع الذي كنت أستقر فيه عندما

يصبح في حالة ضيق وثبرم .

وفي ذات يوم عدنا إلى البيت . . وقذف بي صاحبي في ضيق ، فاستقر بي الحال على أحد المقاعد ، ودخل هو إلى حجرة النوم . . فاضطجع في الفراش وعلا شخيرته . ونظرت حولى فأدهشنى أن أجد هناك طربوشاً آخر قد استقر على مقعد آخر ، وتملكنى الأسف ، فقد أدركت أن حسن افندى قد مل صحبتي وابتاع لنفسه طربوشاً جديداً . وأنه ينوى أن يطردنى من خدمته .

ولكن أسفى قد تحول إلى حيرة شديدة عندما أبصرت رجلاً يخرج من داخل دولاب الملابس . . ويتسلل على أطراف أصابعه . . ويتقدم إلى فيضعى على رأسه ، ويترك طربوشه لحسن افندى .

واستقر بي المقام على الرأس الجديدة . . ومنذ ذلك اليوم وأنا لا أرى حسن افندى أو أسمع عنه . . حتى كان ذات يوم أرسلنى صاحبي الجديد إلى المكوجى ، وجلست مع غيرى من الطرايش نقطع الوقت بالدردشة . . وقلت لجارى فى معرض القول :

— هذه أول مرة أحضر إلى هنا ، إني لم أبصر المكوجى قط عند ما كنت على رأس حسن افندى !

ونظر إلى الطربوش في دهشة وقال متسائلاً :

— ماذا تقول ؟ إنك كنت على رأس حسن افندى ؟

— وأى شيء في ذلك يبعث على الدهشة ؟

— لأنى أنا أيضاً مررت برأس حسن افندى !

وهنا تدخل طربوش ثالث ، فأنبأنا بأنه قد جرب رأس

حسن افندى بضعة أيام ، ثم تدخل طربوش رابع وخامس

وسادس ، حتى انضح أنه ليس هناك طربوش في المحل إلا

ومر على رأس حسن افندى .

وقلت لنفسى متسائلاً :

« ماذا جرى لصاحبي المسكين » البصباص ، لقد طالت

صحبتى له دهرًا طويلًا ؟! ماذا يجعل الطرايش لا تستقر على

رأسه . . وتبديل عليه الواحد تلو الآخر ، .

زكيه الحنش

هذا حديث شبيب . . . عليم بما في الخدور ،
وما في الصدور . . . قد يشابه حديثه مع ما تحبثه
بطون غيرة من الشبائب . . . وقد يظن أحدها
أننا نمنيه بحديثنا . . . وبتهم من أصحابه بأنه قد
هتك سترها وأذاع ما خفي من أمرها . . . ولكننا
نؤكد أن شبيبنا هذا من بسج الخيال . . . وأنه
ليست له أية صلة — من قريب أو بعيد —
بشبابهم الموقرة ، وعلى ذلك فلستنا مستواين
عما قد يحدث من تشابه أو التباس .



وأخيراً خرجت من الظلمات إلى النور ، وتربعت
على عرش أطل منه على هذا الحشد العجيب
من المخلوقات الآدمية تمر بي رائحة غادية .

لقد تم خلقي منذ بضعة أيام . . وأصبحت مخلوقاً أنيقاً
فاخراً . . بهذه البشرة الناعمة اللامعة من الستانية الأزرق ،
وتلك « الفيونكة » التي تحتل مكانها في صدرى ، وهذا البوز
الرفيع الدقيق ، والباطن اللين الطرى ، والكعب العالى
المرتفع الذى يرفع هامتى ويزيد قدرى ويملؤنى غروراً
وكبرياء على غيرى من شبشب العباد التى لا كعب لها
ولا بوز ولا فيونكة .

وجلس فى ركن من « الفاترينة » الزجاجة الأنيقة . .
وسط خليط من الأحذية والشبشب ، التى اختارها صاحب
المتجر لتعرض فى الفاترينة . . وأخذت أرقب المارة
والمتسكعين فى شارع فؤاد الذين لا عمل لهم إلا التطلع إلى
واجهات الحوانيت والتأمل فى معروضاتها .

وظلت الوجوه تتواتر على . . ما بين محمقة وعابرة . .
ومتمنية وزاهدة . . ويائسة وحالمة . . حتى أطل على وجهها
أخيراً . . وقد بدت فيه نظرة إعجاب . . ولمحتها تدفع صاحبها

بمرفقها في جانبه لتلفت نظره الذي شغل بتتبع ساقين
تعبران الطريق .

والتفت إليها متسائلاً عما تريد فأشارت إلى قائلة :
— شبيب لطيف .

وأحسست بالفخر والغرور .. فالشباب كالفواني ..
يغرها الثناء .

وقلت لنفسي بحياء تحيتها : « ده من أصلك » .

وهز الرجل رأسه موافقاً على « لطيف » .. وهمّ
بمعاودة السير .. ولكنها نظرت إليه نظرة تأنيب .. فهي
لم تقصد بتقريظي أن يجاوبها بتقريظ مثله .. بل رمت إلى
أكثر من ذلك .

وتوكل صاحبها على الله .. ودخل وإياها الدكان ..
وبعد لحظة امتدت إلى يد من الداخل ، ثم أدخلت في قدمها
لحظة على سبيل التجربة وسمعت التاجر يقول « مبروك » ..
وبعد هنيهة ضمتني ظلة معتمة داخل صندوق من الورق
تمددت فيه .

ولم أبصر شيئاً مما حدث بعد ذلك .. حتى أحسست
بنفسي أخرج من الصندوق .. وأترك ظلمته الدامسة .
وتلفت حولى فإذا بي في غرفة نوم أنيقة فاخرة الرياش

توسطها فراش كسى بالستان الأزرق وأبصرت النواقد
مغطاة بستائر زرقاء ، وبدالى كل مافى الغرفة قد غلبت عليه
الزرقه فأدركت سر اختيار صاحبتى لى وأن لوفى هو الذى
أغراها بى . . إنها لا شك امرأة فنانة .

وكانت تجلس وحيدة فى الغرفة على مقعد صغير منخفض
أمام التريجة ، وقد نضدت عنها ثيابها إلا من قميص داخلى
أزرق شفاف . . وأمسكت بى تتأملنى برهة ثم دستنى فى
قدمها وشغلت عنى بعد ذلك بتأمل وجهها فى المرآة .

وضايقتنى رائحة القدم لأول مرة إذ لم تكن تتناسب
كثيراً مع تلك العطور التى تفوح من الزجاجات التى رصت
على التريجة . . ولا حتى مع رائحة النفطالين التى كانت تفوح
من الصندوق الذى كنت أرقد فيه .

وألقيت على القدم التى دسّت فى تحية مقتضبة . .
إذ لم أحس لصحبته كثير فرحة . . لقد كنت أتوقع أن أجدها
خيراً مما هى . . لقد صورتها طرية ناعمة منتظمة كقالب
الزبدة . . ولكنى فوجئت بأصابعها المعقلة وبالكالو ينخس
جانبى كالسكين . . وبياطنها الجاف وعروقها النافرة .
قلت لها متأذياً :

— سعيده .

- سعيدة مبارك .
- إني أشم رائحة كريهة .
- ستتعودها بمضى المدة .
- ولكن هذه العطور المرصوفة ما فائدتها ؟ .
- لا فائدة منها .. إنها لا تجدى معي نفعاً .. الحمد لله .
- على ماذا ؟ .
- على ما صرنا إليه .
- لست أرى بك ما يستحق الحمد ، اللهم إلا الحمد على المكروه .
- وهذا الطلاء الأحمر الذى يزين أظافرى . .
ما رأيك فيه ؟
- لا بأس به .. ولكن الأظافر نفسها .
- مالها ؟ .
- مش ولا بد .
- ماذا كنت تقول إذا لو رأيتها فيما مضى .. وقد
كستها الحنة ولوثها الطين والأتربة ؟
- حنة وطن وأتربة فى أظافرك أنت ! ومن أين
لك هذا ؟ .
- وأكثر من هذا .. الحمد لله على المانيكير والبديكير
الحمد لله على وجودك .

— وجودى أنا؟

— أجل .. بعد طول الحفاء .. وبعد طول العدو
على الأسفلت المحرق فى هجير بؤونة .. والوقوف على البلاط
الرطب وسط مياه الغسيل فى الرطوبة .. رحم الله القيقاب ..
لقد كان أغفر ما ارتديت وقتذاك .. كنت أطرقع به على
سيل التفاخر وانتزاع الإعجاب من خدم الحى وبوآيه ..
أبعد كل هذا لا تريدنى أن أحمدا لله على وجودك أنت
وأمثالك من علية الشياشب الأنيقة والأحذية الفاخرة
والجوارب النايلون ؟ ١٩ .

— هذا أمر عجيب .. أنت قد عدوت على الأسفلت
عارية حافية ؟ .. ونقعت فى مياه الغسيل .. قولى شيئاً غير
هذا .. إنك لا شك تسخرين منى .

وهنا سمعت صوتاً أجش ينادى من الخارج :

— زيزى هانم .

وكانت زيزى هانم مازالت جالسة أمام التسيريحة تفحص
وجهها فى المرآة وتصلح الرتوش فأجابت بصوت ناعم ممدود :

— حاضر يا شيرى .

وعدت أوجه القول للقدم التى أخذت تحرك أصابعها

فى باطنى :

— أجل .. أنا لا أستطيع أن أصدق شيئاً من قولك هذا .. هل يعقل أن زيزى هانم التى لا يحتمل مزاجها إلا اللون الأزرق تجرى حافية على الأسفلت .. وتنتزع إعجاب الناس بطرقة القبقاب ؟ .. هذا منتهى التشنيع .

— أى تشنيع ؟ .. أنت شبشب غشيم مستجد .. أنا لم أقل غير الحقيقة .

— ولكن كيف يحدث هذا ؟ كيف ينقلب الخفاء .. إلى نابلون ؟

— ليس هذا وقته .. سأخبرك بعدين .

وكانت زيزى هانم قد أتمت إصلاح الرتوش ونهضت فارتدت روباً من الحرير الأزرق وغادرت الحجرة .. وسارت تطرق الأرض طرقات منتظمة ذكرتني بطرقة القبقاب التى قالت القدم إنها كانت تنتزع به إعجاب خدام الحى . وتوقفت أمام باب أطلت منه قائلة :

— اتفضل يا شيرى .

ونظرت إلى « شيرى » فوجدته قد حجب عنى كل شىء عداه .. أو بوجه أدق .. عدا بطنه المنتفخة التى تدلى فوقها الصديرى ذو الكتينة الذهب .

وجلس الإثنان على المائدة .. وحجب عنى المفرش



الذى تدلى من فوق المنضدة كل شيء عدا ساقها وساقيه . .
ووجدت الفرصة سانحة لأن أعاود حديثي مع القدم على
أستين منها بعض ماخفي على .

قلت لها :

— خبريني كيف كانت زيزى هانم تعدو حافية على
الأسفلت ؟

— لم تكن وقتذاك قد أضحت زيزى هانم .. فقد كانت
زكية الحنش .

— زكية إليه ؟ .

— الحنش . . بنت المعلم ميمى ميمى يباع الكسبه .

— ما هذا الذى تقولينه ؟ . حنش . . ميمى ميمى . .

وكسبه !! .

— طبعاً . . أنت شبشب ذوات . . لا تعرف الكسبه

ولم تسمع عن ميمى ميمى الحنش . . الله يحجمه . . لقد ذقت

منه الأمرين . . طالما اكتويت بخيزرانتة . . عند ما كانت

زكية تهرب من البيت الذى تخدم فيه . . أو كانت تتصرف

في بعضه قروش من أجرها . . ألا تحس بذلك البروز في

عرقوبى ؟ . . إنه أثر التواء حدث لى عندما قفزت زكية من

النافذة بعد أن كاد أبوها يقتلها من الضرب ذات مرة ..
أفهمت لم أحمد الله ؟ .

— مفهوم .. ولكن

— ولكن ماذا ؟ .

- كيف حدث الانقلاب ؟ كيف أضحت زكية الحنش
زيزى هانم ؟ .

وهنا أحسست بقدم الرجل «شيرى» تقترب منى متسللة
ثم وجدتها تضغط علىّ .. وأحسست أن القدم فى باطنى
تتلوى من الألم .. وهمست بها فى خوف :

— ماذا يريد هذا الحيوان ؟ .

— غزل .. هو دائماً يبدأ غزله هكذا ! .

وانسحبت القدم من تحت قدمه ولكنه عاد يقترب
بساقه .. أو ساق الفيل كلها .

ووصل إلىّ صوته من فوق المنضدة يقول وفه محشو
بالطعام :

- عبد الحميد بك قال لى إن الفيلم مدهش .

— متى رآه ؟ .

— رآه فى العرض الخاص الذى عرضناه له أمس ..

لقد انتظرناك طويلا ولكنك لم تحضري . . لقد قال إنك
بلغت القمة .

— حقيقى !

وسمعت طرقعة قبلة . . اغلب الظن أنها منها هى لأن
فيه كان فى حالة من الامتلاء لا تسمح له بالتقيل .
وعدت أسأل القدم :

— لم تخبرينى بعد . . كيف حدث الانقلاب العجيب ؟
ماذا حدث لزكية الحنش بنت المعلم مأمأ ؟
— مـى مـى .

— مـى مـى مـى . . مأمأ . . كله يتساوى . . نحن لم نغلط
فى البخارى . . قولى ماذا حدث ؟
— هذا حديث طويل .

— دعينا نقطع به الوقت . . دعينا نتسلى .
وأحسست بها تنسحب منى قليلا وأبصرت بأصابعها
تتلوى فسألتها :

— ما بالك تتباعدين وما بال أصابعك تتلوى هكذا ؟
— لقد أطبقت على . . مالك تضغط على أصابعى
هكذا . . حتى جعلتنى أضيق بك .

— معك حق . . بعد طول الحرية والانطلاق على

الأسفلت .. لا بد أن تضيق بي .

— إقصر لسانك .. ولا تكن قليل الأدب .

— أقلت شيئاً من عندى ؟ .. ألم تعترفى أنت بذلك

منذ لحظة ؟

— أجل . ولكن هذا شيء مضى .. يجب أن تناساه ..

تماماً وتنكره تمام الإنكار .. يجب ألا تذكر إلا أنى لم

أعود السير إلا على السجاجيد العجمى فى بيت بابا .

— مـ مـ مـ الحنش ؟

— لا .. لا .. بابا .. محمد باشا الحنكاش .. صاحب

عقارات وأطيان .. وسليل أ كبر عائلات الدقهلية .. وابن ..

— مفهوم .. مفهوم .. ابن زكى باشا الحنكاش ..

الذى ينتمى إلى الدوحة الكريمة المفضلة .

— تستطيع أن تقول هذا .. ويجب أن تذكر أيضاً أن

هذا النمو فى العرقوب نتيجة للوقوع من على الحصان ..

فى إحدى النزعات الخلوية فى العزبة .

— والكاللو .. ؟

— من ضيق الأحذية البالى .

— والعروق .. والقشف .. والزرقان ؟

— لا تذكر شيئاً من هذا .

— والرائحة ؟

— تناساها .

— لا . . لا . . كله إلا هذا . . أرجوك أن تبقى بعيدة

عني . . أجل . . هكذا . . دعيني أشم نفسي . . إن البعد
عنك غنيمة .

— غنيمة يا عرة الشباشب . . خذ .

ثم عادت تندس فيّ بعنف وقلت مهدئاً :

— لا تريدن مزاحاً ؟

— أكنت تمزح ؟ .

— بالطبع . . مادام قد حكم عليّ بعشرتك المؤبدة . .

أستطيع أن أضيع العمر معك في خصام ؟ . قولي ماذا
حدث لصاحبتك زكية الخنش ؟

— قلت لك إنسى هذا الاسم .

— زكية الخنكاش ؟

— زيزى هانم كفايه .

— ماذا حدث لزيزى هانم ؟

— هربت من بيت أبيها .

— بيت أبيها ؟ ! .

— أبيها ؟ ! أيها الغبي . . من قال لك إن لأبيها بيتاً .

- لم يكن له بيت !!.. الحنكاش باشا لم يكن له بيت ؟!
- أين إذاً كان يضع السجاجة العجمي .. أكان يفرشها على الرصيف ؟
- أيها الأبله .. لم يكن أصبح بعد الحنكاش باشا ..
- كان لم يزل ميء ميء الحنش .
- ليكن ميء ميء الحنش .. أين كان يبيت ؟ .
- في الاسطبل .
- اسطبل ؟ ١١ .
- أجل في الاسطبل .. غريبة هذه ؟
- أبدأ .. أبدأ .
- إذاً علام الدهشة ؟
- لا شيء .. لقد كنت أظن أنه من بني آدم ..
- لم يخطر لي على بال أنها ابنة حمار .
- حمار ؟ .. من قال لك إن أباه حمار ؟
- ألم تقولي أنت الآن .
- أنا قلت هذا ؟ .
- ألم تقولي أنه ينام في الاسطبل .
- وهل كل من ينام في الاسطبل حمار .. يا بن الحمار ؟
- أنا ابن حمار ؟ .

— لا .. ابن عجل .. ابن معزه .. أستكون شيئاً
أكثر من هذا .

— عيب اختشى إن أبي ميت .. ولا أحب أن يذكر
أحد سيرته بالسوء .

— ميت ؟ !! .. أتريد أن يكون أبوك حياً .. لقد
تعودت أن أعامل الشباشب هكذا .. أتعجبك المعاملة ..
إذا كان كل شبشب سيخبرني أن أباه ميت فكيف أسبه
وكيف ألعن أباه ؟

— على أية حال دعينا من هذا .. قولي لي كيف كان
ينام المعلم ميم ميم في الاسطبل وهو ليس حماراً ولا بغلاً
ولا حصاناً .. ماذا كان يدفعه إلى هذا ؟
— عمله .

— أكان خادم اسطبل ؟

— قطع لسانك .. خادم اسطبل ؟ ! المعلم ميم ميم
الحنش على سن ورمح .. خادم اسطبل ؟
— ماذا كان عمله إذاً .. قولي وأريخيني ؟
— مدير شركة .

— شركة ؟

— أجل .. شركة نقل ؟ كان لديه حماران وعربتان كارو

— مدير شركة كارو ؟ . . . يعنى عربجى كارو ! والله يرحمه
كان يملك وسائل نقل أخرى .. يعنى ترميمات .. سكك حديد ؟
— الله يرحمه ؟ . . . قال الله ولا فالك . . . إنه مازال على
قيد الحياة .

— كمان ؟ ! وما زال يقوم بإدارة شركاته ؟
— شخصياً بنفسه . . . يسير وراء الحمار من مصر القديمة
إلى مصر الجديدة .

— وماذا يقول عنه الناس ؟
— ومن أدراهم أنه أبوها !
— ألا يزورها ؟
— أبداً .
— ألا تزوره ؟
— أبداً . . . أبداً إنها تسكت عنها بيضعة جنيات من
آن لآخر كلما هدهدها بإعلان أبوته .
— شيء جميل . . . إعلان الأبوة قد أضفى جريمة
فى حق الأبناء !

— فى مثل هذه الحالة . . . نعم .
— لنعد إلى حديثنا .. ماذا كنت تقولين عنها ؟
— كنت أقول إنها هربت من البيت .

- بيت من إذن ؟
- بيت أسيادها التي كانت تعمل عندهم . . لقد هربت منه في إحدى الليالي ، وصممت ألا تعود إليه .
- وماذا فعلت إذن ؟
- هامت على وجهها . واشتغلت ببيضة أعمال مختلفة بجمع الأعقاب ، والشحاذة . . ثم انتهى بها الأمر أخيراً إلى الاشتغال بالأعمال الحرة .
- أجل . . اشتغلت حرة ؟
- حرة . . ماذا تعنين ؟
- أعني حرة في جسدها ، تفعل به ما تشاء . . وكان جسدها قد أضحي في ذلك الوقت صالحاً للبيع ، والإيجار ، وعرضته في السوق . . فدرّ عليها شيئاً من الربح .
- وماذا حدث بعد ذلك ؟
- استمرت في عرضه حتى حلت الحرب . . فارتفع سعره ضمن بقية البضائع التي ارتفع سعرها . . واستطاعت بذلك أن تضع قدميها على أول درجات الكادر .
- كادر ؟ !
- أجل . . كادر الأرتستات .
- ألهن كادر ؟

- بالطبع . . كادر ذو درجات وعلاوات .
- لست أفهم ! . لم أسمع عن هذا الكادر من قبل !
- يبدأ الكادر بخادمة . وهي تقابل عامل خارج الهيئة .
- وبعد ؟
- متشردة . . تقابل درجه ثامنه مخفضه .
- وبعد ؟
- تتدرج . . إلى فتاة شارع . . ومن فتاة شارع إلى
- أرتست حرب .
- ومن أرتست حرب ؟
- إلى أرتست صالة وهي تقابل تقريباً الدرجة الرابعة .
- وبعد ؟
- يحتاج الأمر لشيء من الكفاءة .
- كفاءة ؟
- أجل . . فبدلاً من أن يكون عملها مجرد الجلوس
- مع الزبائن والفتح وتأدية الواجب . . يصبح عملها راقصة
- أو مونولوجست . . وهو أمر يحتاج إلى موهبة في تلعب
- الوسط وهز الأرداف . . أو في الصراخ بصوت مقبول .
- ما شاء الله . . وعند ما تصبح راقصة ؟
- يحتاج الأمر بعد ذلك إلى واسطة . . أجل لا بد

من الواسطة لكي تنتقل إلى الدرجة التي تليها . . فالموهبة وحدها لا تكفي .

— وما هي هذه الدرجة التي تليها ؟

— تقابل مدير عام . . وقد يصادفها الحظ وتضحى في درجة أرفع من ذلك .

— لست أفهم .

— ترتقى إلى درجة نجمة سينمائية . . حرف ج ثم ب ثم ا .

— أهذا يحتاج إلى واسطة ؟

— أجل . . وهذا هو ما حدث لصاحبنا . . لقد صادفت الواسطة .

— ومن كان واسطتها ؟

— هذا الخلوف الكبير الجالس أمامك . . لقد كان الواسطة التي رفعتها من راقصة إلى نجمة .

— كيف ! أهو من كبار المخرجين ؟

— لا .

— من كبار الممثلين ؟

— لا .

— من كبار أصحاب الشركات السينمائية ؟

— لا . . لا . . لا شيء من هذا مطلقاً .

— ماذا يكون إذن ؟

— تاجر خرده .

— تاجر خرده ؟! ألم أقل لك إنك أكبر « مشنعاتيه » ؟

كيف يستطيع تاجر خرده أن يرفعها من راقصة إلى نجمة ؟

— رآها ترقص ذات مرة في كباريه .

— ثم ؟

— أعجبته . . دخلت مزاجه . . فتح لها زجاجة بيرة .

— وبعدين ؟

— زجاجة شمبانيا .

— وبعد ذلك ؟

— فتح لها هذا البيت ، ثم فتح لها شركة سينمائية وعمل

لها فيلماً لتكون بطلته . مسألة طبيعية جداً لا تعدو سلسلة

من الفتوحات . . أما زلت ترى في الأمر غرابة ؟

— كلا .

وأخيراً نهضت زيزى هانم و « شيرى بك » خرده

إذ لا أعرف له اسماً غير هذا . . فالهانم لا تدعوه إلا

ب « شيرى » ، والقدم لم تذكر لى عنه إلا أنه تاجر خرده .

وبعد فترة راحة في حجرة الصالون دخلوا معاً إلى

غرفة النوم .

ولم أبصر شيئاً بعد ذلك ، فقد دفعت بي القدم إلى
أسفل السرير .

مرت الأيام والحياة تسير على وتيرة واحدة حتى بدأ
الفيلم يعرض .

وفي ذات ليلة حضر خرده بك وقد بدت على وجهه
أبلغ علامات اليأس . . وعلمت مما دار بينه وبين زيزى هانم
أن الفيلم سقط سقوطاً شنيعاً وأنه قد خسر الجلد والسقط .
وفي الليلة التالية حضر إلى الدار شيرى جديد ولنسمه
دوباره بك ، فقد فهمت من حديثه أنه يملك أكبر مصانع
الدوبارة والخيش ، وفهمت كذلك أنه ينوى أن يفتح لها
هو الآخر شركة سينمائية ويخرج لها فيلماً .

دخل الشيرى الجديد حجرة النوم . . كما دخل صاحب
له من قبل ، واتخذت أنا مجلسي المعتاد تحت السرير .
وفجأة سمعت طرقات شديدة على الباب ونهضت زيزى
في فزع لترى من الطارق .

كان الطارق هو الشيرى القديم . . خرده بك .
سألها من الذى عندها . . فأجابته : « مش شغلك » .
وصرخ فيها فصرخت فيه . . لعن أباهها فلغنت سنسفيل

أجداد أبيه .. صفعها فصفعته . ثم دارت المعركة . حامية
الوطيس .. مستعرة الأوار .

ولم تخفى المعركة في أول الأمر .. بل لقد وجدت
فيها شيئاً يبعث على التسلية .. ما دمت أفق فيها موقف
المتفرج .. المحايد .. أو غير المحارب .

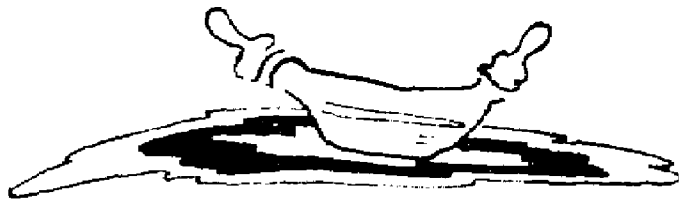
ولكنني فجأة وبدون سابق إنذار وجدتني أنتقل من القدم
إلى اليد .. وإذا بي أستعمل استعمالاً لم يخطر لي قط على بال ..
فقد أصبحت سلاحاً فتاكاً للقتال .. ووجدت نفسي أخوض
غمار المعركة فأهوى على أصداغ صاحبنا بالكعب .

ولم أكن أظن في نفسي تلك القدرة على القتال .. فقد
كنت السبب في تحول دفة المعركة ، وتقهر الخصم وانطلاقه
لائذاً بالفرار .

وعادت زيزى هانم بعد أن أغلقت الباب بشدة ودخلت
غرفة النوم .. وأبصرت دوباره بك قد تكوّم واختبأ في
ركن الغرفة ، ولكنه لم يكذبها حتى ظهر مبرزاً شجاعته
ونظرت إليه وإلى أصداغه وإلى قفاه .. وأحسست برغبة
جارفة في القتال .. فقد فتح منظرهما شهيتي .. ولكن زيزى
هانم دفعت بي تحت السريري .. وهمست للقدم قبل أن أفارقها:
قولى لدوباره بك إن اللقاء بيننا آت لا ريب فيه .

عبدالبرافندى

لم يكن سخط عبد البرافندى ناتجاً عن تعلقه
بوظيفته الحكومية ، فقد كان هو الآخر متبرماً
بها كارهاً لها . بل لأنه لا يرى في وظيفة الشركة
خيراً من وظيفته الحكومية . . . وأكثر من
هذا : كان سخطه لأنه يرى نفسه مخلوقاً لا ارادة
له ، وأنه يحرك هنا وهناك كأنه احدى قطع
الشطرنج .



لوحسرت الخيبة فصارت رجلا لما كان سوى
، محمود افندى عبد البر ، . . فقد كان
مخلوقاً غير مستقل ، مسلوب الإرادة فاقد الحرية ، مقيداً
إلى إنسان آخر . . يحركه كما يريد ، وهو صاغر راض . .
لا يريد التخلص لأنه لا يعرف كيف يعيش إذا ترك لنفسه .
وكان هذا المخلوق الذى شد إليه محمود افندى هى أخته
، بهية ، . . وهى مفتشة فى وزارة المعارف ، وقد تولت أمره
منذ الصغر بعد أن ماتت أمهما ، ولم يكن الفارق بينهما
فى السن كبيراً إلى الحد الذى يجعلها تسيطر عليه وتهيمن
على كل أموره ، ولكن الخيبة التى رزىء بها جعلته يبدو
كطفل فى حاجة إلى من يدبر أمره . حتى بعد أن أضحي
رجلا صاحب عمل وصاحب وظيفة . . لا يكاد يتصرف
فى أتفه أموره ، ولولا بقية من حياء لانتهى الأمر بهية هانم
لأن تذهب به كل صباح إلى عمله وتعود به فى الظهيرة إلى
بيته ، وماذا يمنعها من ذلك ؟ ! وهى التى تطعمه ، وهى التى
تكسيه ، وهى التى تذهب به إلى هذه الزيارة أو تلك . . أو
هذا الموعد أو ذاك .

ولقد أصابته نوبة من نوبات التذمر والسخط على حالته

هذه وهو يغادر الدار بمصر الجديدة قاصداً إلى المترو ليحمله إلى شارع فؤاد فقد طلبت منه أخته أن يسبقها إلى جروبي حيث دعت ، على بك رحى ، مدير إحدى شركات الغزل الكبرى (الذى تعرفت عليه أخيراً فى إحدى الحفلات المدرسية) أملاً منها فى أن يجد له وظيفة فى الشركة خيراً من وظيفته الحكومية التافهة .

ولم يكن سخط عبدالبر افندى ناتجاً عن تعلقه بوظيفته الحكومية فقد كان هو الآخر متبرماً بها كارهاً لها . . . بل لأنه لا يرى فى وظيفة الشركة خيراً من وظيفته الحكومية . وأكثر من هذا . . . كان سخطه لأنه يرى نفسه مخلوقاً لإرادة له ، وأنه يحرك هنا وهناك كأنه إحدى قطع الشطرنج ، وهو أجبن من أن يشور على حالته أو يعلن رغباته . . . لقد كانت قصارى أمانيه حقاً أن يترك وظيفته الحكومية ليفتح حانوتاً لبيع طوابع البريد القديمة ، وهو يعرف حانوتاً فى شارع فؤاد كان صاحبه يرغب فى بيعه . . . أى مستقبل ينتظره لو انتهز الفرصة وأقبل على شراء الحانوت ؟ ولكن هل يجسر على أن يقول ذلك لاخته ، وهى التى تعتبره مخبواً للمجرد غوابته جمع الطوابع ؟

وركب صاحبنا المترو وقد شرد ذهنه ، وبعد لحظة

خيّل إليه أن هناك من يحملق فيه بنظراته ، والتفت
لجأة فوجد عينين ترمقانه في استطلاع ودهشة كأنه حيوان
غريب ، ولم يكن صاحب العينين المحملتين سوى طفل
قد تمدد في حجر أمه .

وأحس محمود افندى بشيء من الحياء . . فقد أخجله
أن يكون منظره غريباً أو مضحكاً بحيث يسترعى نظر
الطفل دون سائر خلق الله الراكبين في المترو ، وضحك
الطفل فزاد خجل محمود افندى ، ولكنه حاول إخفائه بأن
ضحك هو الآخر في وجه الطفل . . ليوهم من حوله بأنه
هو البادى . يا ضحك الطفل ، وأخذ يشير إليه بأصبعه .

ولم تمض لحظة حتى توثقت عرى الصداقة بين الطرفين .
محمود افندى طرف أول ، والطفل طرف ثان ، وقد شجع
محمود افندى على هذه الصداقة مالمحه بطرف عينيه من ملاحظة
الطرف الثالث . . وهي أم الطفل ، وأخيراً وقف المترو
في محطته الأخيرة بشارع عماد الدين ، وأخذت الحسنة
تحكم لف طفلها وحملته على ذراعها ثم مدت اليد الأخرى
لتحمل الحقيبة القماش التي وضعت بها ملابس الطفل ، وبدأ
لمحمود افندى أنه يجب أن يتقدم لمساعدتها فيحمل الحقيبة
عنها . . فأجابته بابتسامة عذبة وتمتت بوضع كلمات شكر .

ووقف الرجل وسط الازدحام وقد حمل الحقيبة
المتفخة وأمامه المرأة وقد أخذت تلفت حولها في حيرة .
وتنحى عبد البر أفندى وتسامل في تردد :

— أستطيع أن أوصلك إلى أى مكان ؟
— أشكرك . . إني أبحث عن زوجى فقد أنبأنى أنه
سينتظرني عند محطة المترو لكي يرافقنى إلى الطبيب .

ولم يدر عبد البر بم يجيب . . إن الموقف يستدعى
أن يقول شيئاً على سبيل « جبر الخاطر » . . فالسيدة ذاهبة
إلى الدكتور فلا بد أن تكون مريضة .

ماذا يقول الناس للمريض ؟ . . لا بأس عليك ؟ !! الله
يشفيك ؟ ربنا ياخذ بيدك ؟ تقوم بالسلامة ؟ !!

لا . . لا . . هذه كلها أقوال تبدو ركيكة مضحكة . .
إن خير مايفعل هو أن يهز رأسه بأسف ، وفى هذا الصمت
الأسف خير معبر لتلميحات الطيبة للسيدة .

وكانت السيدة مازالت مستمرة فى التلفت فى حيرة ،
وأخيراً سألته فى لهجة نافذة الصبر :

— كم الساعة معك من فضلك ؟
وكانت الساعة فى جيب البنطلون الصغير . . ساعة
جيب كبيرة ورثها عن أبيه ، ولما كان يحمل الحقيبة بيده



اليمنى ، وإخراج الساعة من جيبه لابد أن يحتاج إلى يده اليمنى . . فقد اضطر إلى أن ينقل حمله أولاً إلى اليد اليسرى ثم يدفع أصابعه في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء . ويحه من غي أحق . . لقد نسي الساعة كعادته !

ماذا يقول للسيدة ؟ . مستظنه بلا ساعة . . مع أنه يملك ساعة محترمة . . مشرقة . ولم يجد بداً من محاولة البحث في جيوبه الأخرى حتى تدرك السيدة أن معه ساعة ولكنه لا يجدها ، وأخيراً . . وبعد أن نقل الحمل بضع مرات من يده اليمنى إلى اليسرى ومن اليسرى إلى اليمنى . . صاح في أسف :

— الظاهر أنى قد نسيت الساعة . . خسارة . . إنها ساعة فاخرة متينة لا تقدم ثانية ولا تؤخر ثانية .

— على أية حال كان يجب أن يكون موجوداً الآن . لست أدري ما الذى أخره ؟

— الغائب عذره معه . . . لابد أن يكون قادماً في الطريق .

— يجب أن أحدثه في التليفون . . فربما مازال في المكتب . . إنه دائماً ينسى نفسه .

وأخذت السيدة تدير بصرها فيما حولها . . وتنقلت

عينيها بين الحوانيت على الرصيف الآخر وبين المارة
المتزاحمين في الطريق والعربات المتلاحقة ، وأخيراً استقر
بصرها على الطفل ثم انتقل منه إلى عبد البر افندى .

كان واغماً أنها في حيرة من أمرها كيف تعبر الطريق
المزدحم وتخوض وسط العربات بالطفل في يدها ، ثم كيف
تستطيع بعد ذلك أن تطلب النمرة وتتحدث في التليفون .
وهنا تحركت النخوة والشهامة في نفس عبد البر .

يجب ألا يقف هكذا متسماً في مكانه « كاللوح » ..
يجب أن يعرض المساعدة ، وينقذ السيدة من حيرتها ..
ولم يطل به التفكير حتى قال في كرم وأريحية :

— هات « المحروس » وتفضلي انت للحديث في التليفون
وسأنتظرك هنا .. إنك لاتستطيعين أن تعبري الشارع
وأن تتحدثي في التليفون وهو معك .

ونظرت إليه السيدة نظرة فاحصة .. لقد كان من
المتعذر حقاً أن تتحدث في التليفون والطفل معها ، ولكن
هل يبرر ذلك أن تترك الطفل مع رجل لاتعرفه ؟

ولكنه يبدو رجل طيب مأمون .. لاتبدو عليه مخايل
شر أو سيما احتيال .. على النقيض إنه أقرب إلى البلاهة
والعبط ، وليس هناك من بأس على الطفل إذا ما تركته معه .

وأخيراً استقر رأيها ومدت يديها إليه بالطفل .

وفوجيء عبد البر بالطفل في يديه .

لقد عرض على السيدة من باب الكرم أن يحمل عنها
الطفل ، ولكنه كان مجرد عرض لم يخطر له ببال وهو
يعرضه أنه يمكن أن يصبح موضع التنفيذ . . لقد كان
عرضه أشبه بعرض عابر سبيل يمر بحمال ينوء ظهره بحمل
ثقيل فيقول له من باب المجاملة « عنك » فإذا بالحمال
يقذف إليه بالحمل .

لقد كان خيراً لعبد البر أن يُقذف بأى حمل ثقيل من
أن يتولى حمل هذه المخلوق اللين الهش .

كانت المرة الأولى التى يحمل فيها طفلاً ، وحمل الطفل
في نظره ليس بالأمر السهل . . إنه يحتاج إلى صنعة وإلى
مهارة ومران . . هذا العظم الطرى ، لا بد أن يحمل بطريقة
فنية والإتهشم وتفتت . . إنه يحتاج إلى مثل طريقة الحجاج
ابن يوسف الثقفى « شده فى غير عنف ولين فى غير ضعف » .
لعنة الله عليه . . أى حماقة دفعت به إلى هذا المأزق
الخرج ؟ ! إنه يعرف أنهم يحملون الأطفال برقة فوق
الذراعين أو فوق الكتف ، ولقد كان يمكن أن يقدم على
مثل هذه المحاولة لو أن كلتا يديه خاليتين ، ولكن ما حالته

وإحداهما مشغولة بالحقية .. إنه لم يعد أمامه سوى
وسيلة واحدة ، هي أن يحمل الطفل كما يحمل الحقيبة
تحت إبطه .

وهكذا طوى الطفل تحت إبطه كما يطوى حزمة فجل ،
وأدار الطفل عينيه ونظر إليه في دهش وتساؤل كأنما
يقول له :

— ما هذا أيها الغبي .. إني لم أعود أن أحمل هكذا ..
لا تكن حماراً ، ودعني أعتدل .

ولم يملك عبد البر إلا أن يهز رأسه ويتمتم معتذراً
للطفل :

— لا بأس عليك .. احتمل ، أنت ترى أني لا أستطيع
حملك خيراً من هذا .. إن يدي مشغولة بحقية ملابسك ،
ولا أستطيع تهشيكك وتدليك .. اصبر .. إن أملك آتية
بعد برهة قصيرة .. إنها تحدث أباك في التليفون .. فكن
رجلاً واحتمل .

ولكن الطفل الأحمق أخذ يتملبل في موضعه ويضرب
بقدميه ...

وعاد عبد البر يخاطبه بقوله ناصحاً :

— عيب .. عيب .. إثبت ، والا أفلت من يدي

ووقعت على الأرض .. كن عاقلاً .. ماذا ترانى كنت فاعلاً
.. لو أن أحداً حملنى كما أحملك - لاشيء .. أتوكل على الله ،
وأستقر فى مكانى .

وتصور نفسه محمولا بتلك الطريقة تحت إبط عملاق ،
فأزعجته الفكرة وسرعان ما طردها من رأسه .

وعاد الطفل يضرب بساقيه ، وخشى عبد البر أن يفلت
منه ، وتصوره قد سقط على الأرض وشجّت رأسه وقتل
لساعته .. ثم تصور المرأة قد عادت لتجد طفلها قتيلاً ،
وتصورها قد أنشبت أظافرها فى عنقه ، وتصور الصحف
وقد ظهرت وبها عنوان بالخط العريض « سفاح عماد الدين ،
وبعناوين فرعية كتب فيها « موظف يقتل طفلاً فتقتله أمه » .
ترى ماذا يمكن أن تفعل أخته بهية ؟ هل ستبكيه
أم تتبرأ منه .. باعتباره سفاحاً يجلب عليها العار ؟

وروعته الأفكار فاشتد تمسكه بالطفل وضغط عليه
تحت إبطه بشدة حتى لا يفلت وتقع المأساة التى دارت برأسه .
وهنا فاض بالطفل .. فانفجر باكياً صارخاً .

هذه هى الفضيحة الكبرى .. لم يكن ينقص الموقف
إلا هذا الضجيج الذى يحدثه هذا الحيوان الصغير .. فيجذب
إليهما أنظار المارة .

إنهم يرمقونه شرراً ، والبعض يضحك عليه . . كأنه
« أراجوز » ، ولم يجد بداً من مخاطبة الطفل ونصحه
بالسكوت . فقال له في لهجة جادة منذرة محذرة :

— عيب يا جدع . . اختشى .

ولكن الطفل لم يختش ، بل ازداد صراخاً وازداد ضرباً
بساقيه ، وازداد تبعاً لذلك ضغط عبدالبر عليه .
وعاد عبدالبر يقول ناصحاً :

— هذا لا يصح . . لقد فضحتنا بين الناس . . اختشى
ياسيدنا . . لا ترفض هكذا برجليك . . هذا ليس شغل
رجال . .

ولجأة سمع صوتاً يناديه في دهشة ، والتفت خلفه
فإذا بها أخته قد حضرت في المترو التالى وبدأت تحملق فيه
ذاهلة متسائلة :

— ما هذا ؟ .

— طفل .

— أنا أعلم أنه طفل ، ولكن ما دخلك به ؟

— إني أحمله عن أمه حتى تتحدث فى التليفون .

— أيها الأحمق . . اذهب واعطه لها . . لقد تأخرنا

عن الموعد . . أين ذهبت ؟

وتلفت الرجل حوله ثم أجاب ببساطة :

— لست أدري بالضبط .

— ماشكلها؟.. وماذا ترتدى ؟

— شكلها ؟ حلو ، ولست أذكر بالضبط ماذا كانت

ترتدى .

ونظرت إليه المرأة في يأس وقالت :

— رجل في مثل سنك يقف في شارع عماد الدين

حاملا طفلا وحقية سيدات ، وطفل من ؟ . لا يدري ..

ماذا شكل أمه وماذا ترتدى ؟ لا يدري .. ماذا أفعل بك

حتى لا ترتكب أمثال هذه اخماقات .. أأربطك بسلسلة ؟ !

كم مضى عليك وأنت واقف هذه الوقفة ؟

— خمس أو عشر دقائق .

— عشر دقائق ؟ .. أوكد لك أن المرأة لن تعود ..

إنها « تلقيحة » ، وأغلب ظني أنها لم تجد حماراً يمكن أن

تلقى إليه بالطفل غيرك وتفر هاربة .. لاشك أنها

خادمة أو مربية .. وقد هربت وألقت إليك بالطفل .

هيا بنا إلى القسم نسلم لهم الطفل فليس لدينا وقت لهذه

« المسخرة » .

— القسم ؟ ! إن أمه لا بد ستعود بعد لحظة .. إمسكي

الطفل حتى أبحث عنها في أحد تلك الحوانيت . . إني أذكر
أنها كانت ترتدى فستاناً أزرق .

وبدأ محمود افندى يعدو من حانوت إلى حانوت
يسأل كل من يصادفه عما إذا كان قد رأى امرأة
مليحة ترتدى ثوباً أزرق ، وعلى حين غرة أبصر بتاكسى
قد وقف على جانب الطريق وقد تدلى منه ذراع امرأة
ذات ثوب أزرق فهجم على التاكسى صائحاً وقد أمسك
بذراع المرأة :

— سيدتى . . لقد نسيت طفلك معى !

وأطلت من العربة امرأة عجوز ونظرت إليه شذراً
وتمتت فى دهشة :

— مجنون .

وأخيراً عاد محمود افندى إلى أخته يخفى حنقه ولم يجد
هناك بداً من أن يتبعها صاغراً إلى أقرب قسم بوليس .
ووصلا إلى ميدان العتبة ودخلا قسم الموسيقى ، ووقفوا أمام
الباشجاويش الذى أخذ يسألها أولاً عن اسمها وسكنهما
ثم أخذت المرأة تشرح القصة ، وعندما انتهت من شرحها
نظر إليها الرجل بىلاهة دون أن يفهم شيئاً وسألها
فى غيظ :

— ماذا تريدین إذا ؟

— أريد أن أترك الطفل هنا . . .

ونظر إليهما الرجل فاغراً فاه من فرط الدهشة :

— تتركين الطفل هنا ؟ . . لكي نضعه في الزنانة . . .

أم نختمه ونجعله حرزاً ؟ أم نحضر له سريراً ونطلب من
إليه المأمور أن يحضر لإرضاعه ؟ . إننا لا نستطيع أن
نعمل أكثر من مذكرة . . هنا قسم بوليس ، وليس ملجأ
أطفال ! .

— أنا أعلم أنه قسم بوليس ، وأرجو أن تكون
في حديثك أكثر أدباً .

ولم يجب الباشجاویش بأكثر من أن يأمر جندياً بأن
يطردهما خارج القسم . . فخرجا ووقفوا برهة في حيرة
ثم طلب منها محمود افندی أن تذهب هي إلى الموعد حتى
يعود هو مرة أخرى إلى محطة المترو لعل المرأة تكون قد
عادت فيعطيا الطفل ويلحق بها في جروبي .

وعاد محمود افندی حاملاً الطفل والحقيبة ، وعندما
وصل إلى محطة المترو كانت صورة المرأة قد تبخرت
من رأسه تماماً فكان من العبث أن يحاول البحث عنها . .
ولم يجد خيراً من أن يضع الحقيبة على الأرض ويجلس

عليها ويضع الطفل في حجره وينتظر . .
وانتظر محمود افندى ، وطال انتظاره . . حتى أحس
بماء دافئ ساخن يسيل على ساقيه فأدرك أن الطفل قد
(عملها . .) وأصابه ارتباك شديد ، وأدرك أنه لا بد من
تغيير ملابس الطفل وإلا أصابه برد ، وسحب الحقيبة
من أسفله وأفترش الرصيف وبدأ يبحث فيها عن غيار
للطفل . فأخرج كل محتوياتها حتى عثر على ما يريد . . ثم
بدأ يبدل ملابس الطفل ، وسط عاصفة من البكاء
والصراخ ، وهو يزجره آونة ويدلله أخرى ، وأخيراً
انتهى من مهمته الشاقة ، وبقيت مهمة أشق منها وهي
إعادة الملابس التي تنأرت على قارعة الطريق إلى داخل
الحقيبة . . وبدأ محمود افندى عملية « الحشر » فإذا بالحقيبة
لا تسع الملابس .

وأصابه اليأس واشتدت به الحيرة . . وبدأ يشك هو
الآخر في أن المرأة قد « استكردته » فتخلصت من الطفل
بإلقائه إليه ، ومن غيره يمكن أن تجده المرأة . . أكثر
خبية وأشد حمقاً ؟ ! !

ولم يسؤه الخاطر . . بل على النقيض . . أحس منه
بفرحة ملأت قلبه ، إنه سيصبح مالك الطفل . . طفل لطيف

لم يتعب في الحصول عليه ، وسيهيء له هذا الطفل الضئيل
فرصة طيبة للثورة على أخته والتخلص من قيودها ، فيسترد
حريته المسلوكة .. أجل .. سيعلنها أنه سيتنازع حانوت
الطوابع ويستأجر الطابق الذى فوقه ليكون على مقربة
من الطفل .

ونهض محمود افندى من مكانه ، وقد عرته نشوة هزت
جوانحه .. « ولفع » الطفل على كتفه ، وسار يهز الحقيبة
في يده من فرط الطرب .. إنه ماتخيل قط أن أمله يمكن
أن يتحقق ، ولكن هاهو قد انتصر أخيراً .. مع هذا
الطفل اللطيف .. ترى ما اسمه ؟ لا بد له من أن يطلق
عليه اسماً من الآن ، وليكن عنتر .. مثلاً .. « إزيك ياسى
عنتر .. مبسوط ياسى عنتر ، !

ووصل إلى جروبي .. ولا أظن من اليسير بحال من
الأحوال على أى امرئ .. أن يصف حال أخته وقد
جلست مع الرجل المحترم « على بك رحى » .. تحدثه عن
كفاءة أخيها ونبوغه ، وأنه مقبول فى وظيفته الحكومية ..
ثم تبصر بأخيها المذكور وقد « هل » ، عليها من باب جروبي
يخوض بين العيون المحملقة والأفواه الفاغرة مبتل
البنطلون حاملاً الطفل على كتفه بطريقة لم يسبق لها مثيل

فى عالم حمل الأطفال . . وأخذ يهن الحقيبة . . المنتفخة
المنبعجة ، وقد افتر ثغره عن أعرض ابتسامة يمكن أن يفتر
عنها ثغر .

ومضت لحظة ذهول قبل أن تفيق المرأة لكي تعرف
الرجل بأخيها ، ومضت لحظة ذهول أخرى قبل أن يفيق
الرجل ليعرف أن هذا المخلوق هو أخوها العبقري النابغة ،
وجلس محمود افندى وهو فى حالة رضاء تام عن نفسه
وكان أول مافعل هو أن مد يده فأمسك بإناء اللبن ودفع به
فى فم الطفل قائلاً فى غبطة « اشرب يا عنتر » ، وأخذ عنتر
يجرع اللبن وقد بدت عليه هو الآخر أتم حالات الهدوء
والاغتباط .

وبعد فترة صمت استعادت « بهيه هانم » نفسها وبدأت
تدخل فى الموضوع فأنبأت على بك أن محمود افندى
على أتم استعداد للتخلي عن عمله الحكومى فى سبيل خدمة
الشركة ، ولكن محمود افندى قاطعها على حين غرة بقوله
ببساطة :

— لا . . لا . . لقد قررت أن أبتاع حانوت الطوايع
وأن أستأجر الطابق الذى فوقه لأكون دائماً على مقربة
من عنتر .

وكانت صدمة ثانية للمرأة . . لم تفق منها هذه المرة
إلا بعد أن استأذن على بك وتحركت وأخاها قاصدين إلى
المترو للعودة إلى الدار .

وفي المترو جلست أمامه ترمقه بأقصى نظرات الحقن
وقد وضع عنترآ في حجره وأخذ في تدليله ، وبدأت هي
تهمس إليه مفرغة جام غضبها :

— أقسم أنك لست آدمياً . . هل يمكن أن يفعل
إنسان غيرك ما فعلت ؟ ! إني لأعجب كيف بقيت إلى الآن
في عملك دون أن تفصل .

ونظر محمود افندى إلى عنتر يستلمه شيئاً من الشجاعة
ثم أجابها :

— لافائدة . . لقد قررت أن أستقيل وأبتاع الحانوت
فأريحي نفسك .

ووصلا إلى الدار وهو يحس بسعادة تغمره . . فقد
شعر لأول مرة أنه أضحي سيد نفسه وأن فروض السيطرة
قد زالت عنه ، وصعد السلم حتى وصل إلى الباب . . فإذا به
يبصر منظراً جعله يهبط من علياء أحلامه . منظرأ أصابه
بفجعة ما بعدها فجعة . . لقد أبصر أم الطفل تنتظر أمام
الباب ومعها جندي بوليس .

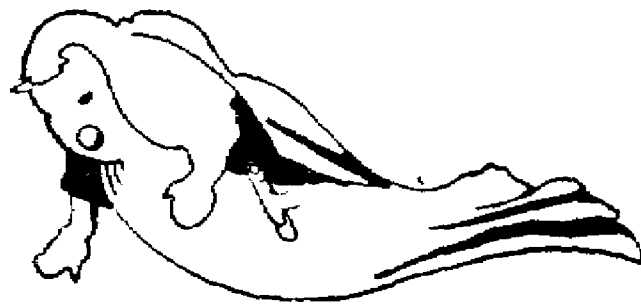
وهجمت الأم تحتضن طفلها ناحية باكية ، وهجم الجندي بدوره يقبض على محمود افندي ليسوقه إلى القسم متهماً بسرقة الطفل .

وكان على الأخت أن تقضى ليلتها في محاولة الإفراج عنه ، وإفهام المأمور بأن محمود افندي لا يمكن أن يسرق .. وأنه ليس إلا رجل خيبة .

وعاد محمود افندي إلى داره في الصباح .. بعد أن بات ليلته على الأسفلت ، وبعد أن تخلى عنه عنتر في اللحظة الأخيرة .

ميدو قلب الأسد

كان ميدورغم صفر سنة في الثانية الثانوية .
وكان نموذجاً للشقاوة الصبائية ، أو كما كانت تسميه
أمه « ممجون بعينة المغاريت » . ولم يكن هناك
ما ينقص عيشه سوى وجود أبيه مدرساً للغة
العربية في مدرسة شبرا الثانوية التي كان ملحقاً
بها . . فقد كان بهامته وجيته وقفطاً له . . مصدر
متاعب له وهو ورد سخرية .



السابعة صباحاً في أحد أيام ديسمبر . . منذ
الساعة ما يقرب من الخمسة عشر عاماً . . وقد خيم في
الجو ضباب ثقيل ، وسار عبد الحميد على شحاته أود ، يبدو
قلب الأسد ، كما كان يسمى نفسه ويسميه رفاقه وعصبته . .
يطوح بحقيبته إلى الأمام وإلى الخلف ، على طول ذراعه ،
وهو يجتاز دهليز طوسون ، الموصل بين شارع روض
الفرج وشارع طوسون المؤدى إلى مدرسة شبرا الثانوية .
وكان ، دهليز طوسون ، ممراً ضيقاً لا يزيد اتساعه على
مترين يخترق المزارع ، ويقوم على أحد جانبيه سور شائك من
أشجار الفسنة وغيرها من الشجيرات الشائكة المتكاثفة المتربة
الملبنة بالزواحف والحشرات . . ويكون هذا السور الحد
الشرقي لحدائق المانجو المحيطة بمدرسة شبرا والتي كانت فيما
مضى سراى الأمير عمر طوسون ، أما الجانب الآخر من
الدهليز فتمتد بجواره مزارع القصب والخيزرة والسلق .

وكان أهم ما يشغل ، يبدو ، في ذلك الصباح — غير
مرجحة حقيقته — ذلك الدخان المتصاعد من فمه كلما نفخ
في الهواء . . لقد كان شيئاً مسلياً حقاً أن يرى نفسه ، مدخناً ،
كأنه وابلور حلوان ، وأن يخرج الدخان من فمه بغير حاجة

إلى أن يسرق من أبيه سيجارة يتسلى بتدخينها .
ووصل ميدو إلى نهاية الدهليز ، وقبل أن يلف على
يمينه في الطريق المؤدى إلى المدرسة عبر الشارع متجهاً إلى
الساقية الكائنة في الجانب الآخر من الطريق ووقف برهة
يتسلى بمشاهدتها ويقذف بعض الحجارة في البئر الذى ترفع
منه الماء حتى نهره الفلاح من داخل الكوخ المجاور للساقية
ونعته بابن الحرام ، فعدا إلى البوابة الكبيرة المفضية إلى
طريق المدرسة .

ولم يكد يحتويه الطريق العريض حتى توقف برهة ومد
يده فى جيب بنطلونه فأخرج زلطة مستديرة وانطلق يدفعها
بقدمه حتى وصل بها إلى باب المدرسة عندما أفلتت من قدمه
إحدى القذفات فأصابت ساق عم فضل البواب .
وصرخ عم فضل وأمسك بالزلطة ، وأقسم أن يعطيها
لحضرة الناظر ويبلغه كيف كان ميدو يوشك أن يخرق بها
عينيه .

وكان ميدو رغم صغر سنه ، ورغم أنه لم يتجاوز السنة
الثانية بعد ، من أبرز الشخصيات وأشهرها فى مدرسة شبرا
الثانوية ، وكان عمره وقتذاك لا يزيد على الرابعة عشر ..
أيض الوجه ، دقيق التقاطيع ، كبير الأذنين ، به شبه كبير

من الأرائب ، غزير الشعر ناعمه ، أنعم الله عليه بشيء من
الوسامة ، لو أحسن استغلالها لبدا من أبناء الذوات ،
ولكنه لم يحاول ذلك قط ، فقد كان شديد البهولة
دائم العراك ، وكان نموذجاً للشقاوة الصيانية ، أو كما كانت
تصفه أمه « معجوناً بمية العفاريات » ، ولم يكن هناك ما ينغص
عيشه سوى وجود أبيه الشيخ على شحاته مدرساً للغة العربية
في مدرسة شبرا ، فقد كان بعمامة وجبته وقفطانه ، مصدر
متاعب له ومورد سخرية .

واجتاز ميدو فناء المدرسة بعد أن انتهت معركته مع
عم فضل بعقد صلح مؤقت استعاده الزلطة ، وسار يطوح
بحقيبته وينفخ في الهوواء ، وقد تدلى شرابه على خذائه
الأجرب ، ذى النصف نعل ، والدوبارة بدل الرباط
وبدت ركبتاه مليئتين بالجروح والكدمات .

وكان ميدو لا يرتدى قميصاً قط ، بل يكتفى دائماً بحشر
الجلباب داخل البنطلون بعد أن يلفه جيداً حول وسطه ،
وكان يرى في ذلك توفيراً للقمصان وللوقت .

ووصل ميدو إلى فناء الجباز ، حيث تقوم الأجهزة من
عقلة ومتوازين ، وحصان ، وحيث توجد في أحد أركان
الفناء الحجرات الخشبية التي يستعملها فريق الكرة في خلع

ملابسه ، وحيث توجد حجرة علوى افندى مراقب
الالعب الرياضية التى كانوا يدخلون إليها بسلم خشبي مركب
على نافذة .

واستقر ميدو على إحدى الدكك الخشبية فى الفناء . .
ووضع حقيبته بجواره وأخذ يرقب بعينه الباب الآخر
المؤدى إلى فناء الكرة كأنه ينتظر مجيء شخص بين آونة
وأخرى .

وكان الوقت مبكراً ، والمدرسة قد خلت إلا من بضع
فراشين تناثروا فى أرجاء المدرسة ، والضباب قد تكاثف
فى فناء الكرة وبين أشجار الجواقة المتناثرة فى الفناء
الخلقى .

وفجأة سمع صغيراً حاداً فأجاب ميدو على الصغير بصغير
مثله ، وبدأ شبح قصير يتسلل من باب ملعب الكرة إلى فناء
الجباز مقبلاً فى اتجاه ميدو .

ونهض ميدو بصافح الصديق ، وأفسح له محلاً بجواره
وبدأ الاثنان الحديث همساً .

كان القادم هو زكى إبراهيم جاد الله ، أو أبو الزيك ، .
وكان أبو الزيك — رغم أنف أبيه — وكيلاً لجمعية
التمثيل فى المدرسة ، فقد كان ممثلاً بارعاً ، لا يعيبه إلا قصر

قامته ، وإن كان طول لسانه وشدة مكروه قد عوضاه خيراً
عن قصر قامته .

ولم يكن أبو الزيك في مثل شقاوة ميدو ، بل كان
أكثر منه هدوءاً وتؤدة واتزاناً ، وكان الاثنان يكونان
شركة يعتبر أبو الزيك فيها العقل المدبر ، وميدو القوة
المنفذة .

وجلس أبو الزيك على الدكة بقامته القصيرة ، ورأسه
الكبير ، وأنفه الضخم ، وعينه المتفتختين ، وساقاه مدلاتان
لا تصل قدماه إلى الأرض ، وقد بدا حذاؤه لامعاً وشرابه
مثبتاً على ساقه بأستك ، وبدأت حلته نظيفة لا أثر فيها لتلك
البهدة التي تكسو حلة صاحبه .

وبدأ أبو الزيك الحديث بلهجة تمثيلية وقور :

— كل شيء قد بات على تمام الأهبة يا قلب الأسد .

— ماذا فعلت بالأمس ؟

— فعلت كل خير ، لم يعد ينقصنا شيء إلا الإقدام على
الخطوة الأخيرة .

— وعم سعيد ؟

— لقد أضحي أطوع لنا من بنانا . . إنه لم يعد يشغل
رأسه سوى عمارة سيف الدين ، وقد جلست معه في حجرته

بالأمس بعد انصراف الطلبة ، وأفهمته أن من الجنون أن يضع عمره سدى ، وأن عمل بواب في مدرسة عمل لا يليق بعم سعيد . وأن مكانه اللائق هو في عمارة سيف الدين وجلست أحسب له أجره ، وأجمع المبالغ التي سيدفعها له السكان ، عشرة جنيهات أجراً شهرياً وبالقليل خمسين قرشاً بقشيشاً من كل ساكن ، خمسين قرشاً في مئة ساكن بخمسين جنيهاً وبإضافة الجنيهات العشرة تصبح ماهيته ستين جنيهاً ، أى أكثر من ماهية حضرة الناظر .

— وصدقك ؟

— طبعاً ، وقلت له إن خالى سيف الدين صاحب العمارة سينتظرني غداً في الظهر لأجل الحديث معه في هذا الموضوع ، ولكنى لا أعرف كيف أخرج ، فأجابني بأنه يستطيع أن يخرجني في أى وقت أريد .

— وأنا ؟

— سيخرجك معى .

— هل أخبرته ؟

— لا ضرورة لإخباره .. سأقول له إنك معى وكفى .

— أنت تعلم أن العلاقة بينى وبينه ليست على ما يرام

وإننى بالأمس فقط خطفت عمته .

— اطمئن .. دع أمر عم سعيدلى ، سأدعى أنك خارج
معى لمقابلة عمك بهلر ، حتى إذا لم تنفع عمارة سيف الدين
استبدلناها عمارة بهلر .. ولكن ماذا فعلت فى المسألة
الأخرى .. إنها أهم ما فى الأمر ؟

— لقد أعددت كل شىء .. واتفقت مع أم سيدة
الغسالة أن أحضر لها الطفل لترعاه وترضعه حتى نأخذه
منها ، وقلت لها إنه ابن فراش فى المدرسة ، توفى أبوه
ومرضت أمه ، وإننا تطوعنا للعناية به .. حتى تبلى أمه ..
فنعيده إليها .

— فكرة هائلة .. ولكن .. ألا تخشى أن تشى بنا
أم سيدة ؟

— ومن أدراها ؟ وما فائدتها من الوشاية ؟

— ومتى سنبدأ الهجوم ؟

— اليوم ظهراً ، نخرج فى الساعة الثانية عشرة من
بوابة عم سعيد ، ونقتسل إلى البيت من الباب الخلفى ..
وعليك أن تنتظر أمام باب الحديقة .. لتعطينى إنذاراً إذا
ما رأيت أحداً ، أما أنا فساظل رابضاً فى الحديقة حتى تحين
الفرصة .. هذه مسألة تحتاج إلى سرعة وجرأة .. وأنت

إنسان بليد بطيء . . . هذه المغامرة الجريئة لا ينفع فيها غير قلب الأسد .

— سأنتظر في الخارج . حتى أتسلم منك الطفل ، ماذا تنوى أن تفعل إذا صرخت الخادمة ؟

— لا تتدخل فيما لايعنيك ، سأعرف كيف أتصرف ، إن مهمتك تبدأ عند تسليم الطفل .

— ولكن ألا تخشى أن يكون اليه الناظر موجوداً في البيت ؟

— غير معقول ، إنه لا يترك المدرسة للغداء قبل الواحدة ، وأنا أعرف أن الخادمة قد اعتادت أن تضع الطفل في شرفة البيت المطلة على الحديقة ، وأعرف أن المهمة لن تحتاج إلى كبير عناء وحذر ، لقد أحضرت شال العمة معي في الحقيبة .

— وماذا تنوى أن تفعل به ؟

— هذه أسرار المهنة ، إنك لا تدري شيئاً عن فوائده ولا أبي يدري ، إن كل ما يفعله هو أن يلفه على عمامته ، أما أنا فسأعرف كيف أستفيد منه . . هل تعرف جبل الكشافة وفوائده ؟ .. إن هذا خير منه . . سأستعمله أولاً كقناع أخفى به وجهي ، فإذا حاولت الخادمة أن تصبح



فسأكمها به ، وكذلك يمكننى أن ألفت فيه الطفل . . أشياء كثيرة يمكن فعلها به . . على أية حال أعتقد أن المسألة ستنتهى دون حاجة إلى استعمال العنف ، فقد راقبت الخادمة بضعة أيام فرأيتها كثيراً ما تترك الطفل فى الشمس وتدخل إلى البيت لمغازلة عبد ربه الطباخ . . سأحاول أن أنتهز إحدى هذه الفرص وأخطف الطفل بهدوء دون أن يحس بى أحد .

— لو تمت العملية لأصبحنا من الأثرياء .

— أثرياء فقط ! إننا سنندل الناظر ، ونكسر أنفه . .

ونحصل على كل مطالبنا منه . . سننتقم لأنفسنا شر انتقام . . هل كتبت الخطاب الأول ؟

— أجل .

— اعطه لى . . إذ يجب أن أضعه مكان الطفل عندما

أخذه . .

وأخرج أبو الزيك ظرفاً من جيبه وسلبه إلى ميدو وبدأ

ميدو القراءة :

« من الزعيم الخفيف قلب الأسد رئيس عصاة الموت

بالحانة السوداء إلى البائس المسكين على عبد المتعال ناظر

مدرسة شبرا الثانوية ، .

وقلب ميدو شفتيه وقال معترضا :

— ولكن هل تظن أن من العقل أن نذكر في الخطاب صراحة اسم قلب الأسد؟ ! إن الناظر قد يعرفنا بمجرد اطلاعه عليه .

— ليس هناك من يعرف اسمك هذا إلا أفراد العصاة على أية حال من باب الحرص لنجعله مخلب القط ، أو عين العنكبوت

— العنكبوت ليس له عين . لنجعله مخلب القط ، فهو أروع ، وما مسألة الحانة السوداء؟

— هذه هي مقر ملتون توب ، وابن جونسون . .
لاتخف من الرسالة . . فقد نقلتها بالضبط من الجزء الثاني من ابن جونسون .

ويعاود ميدو القراءة :

« لقد أخذنا طفلكم ، ولن يعاد إليكم حياً إلا إذا نفذتم الشروط التالية :

١ — إرسال مبلغ مائة جنيه . . وذلك بوضعها في صندوق . . ودفعها تحت النخلة الموجودة في نهاية دهليز طوسون .

٢ — إعطاء المدرسة أجازة شهر .

- ٣ - حذف مادة التاريخ الطبيعى والجبر والهندسة .
- ٤ - رفت على افندى كفته الضابط بالمدرسة .
- ٥ - جعل وكيل فرقة التمثيل رئيساً لها .
- وهنا نظر ميدو إلى أبو الزيك وهز رأسه مغتاظاً :
- أيها الأثنى ، إنك لم تذكر إلا نفسك ، أضف شرطاً
- سادساً ، وهو أن يجعلنى كابتن فريق الكرة .
- ولكنك لا تلعب كرة .
- هذا لا يهم . لن يعاد الطفل إلا إذا أصبحت كابتن
- للكرة ، واعطونى جزمة كنج ، وجوز أناكل ، وجوز
- شناجير .
- أمرك .
- وتناول أبو الزيك الخطاب وهمّ بإضافة الفقرة الجديدة
- ولكن ميدو صاح به فجأة :
- أيها الغبي . سيعرف الناظر من هذا أن لنا علاقة
- بالعصابة .. إننا يجب ألا نذكر أى شيء يستدل به على
- أشخاصنا ، أشطب فقرة التمثيل والكرة ، واجعل المبلغ
- مئى جنيه .
- لنجعله ثلاثمائة .. مئة جنيه للتعويض عن رئاسة
- فرقة التمثيل .

— اخف الخطاب الآن . فإنى الملح فرج افندى قادما .
— اسمع . . لقد تذكرت . . أضف بنسداً بترقية فرج
افندى فهو رجل غلبان .

— أجل . . معك حق .
— وأضف أيضاً ترقية الشيخ على شحاته ، فالأقربون
أولى بالمعروف .

وبدأ الطلبة يتوافدون على الفناء ، وافترق الصاحبان
على أن يلتقيا الساعة الثانية عشرة أمام بوابة عم سعيد .

• • •

الساعة الآن الثانية عشرة والحصّة الرابعة لم تنته بعد . .
وبدأ ميدو وأبو الزيك يحومان حول بوابة عم سعيد ، ثم
دخلوا إلى حجرته .

وجلس ميدو على دكة بجوار الرجل الأسود السمين ،
وأخرج من جيبه علبة سجائر ، وأعطى سيجارة لعم سعيد
وسيجارة لأبي الزيك ، ثم أخرج من الجيب الآخر فم
سجاير ووضع به سيجارته وبدأ التدخين .

ونظر أبو الزيك إلى الفم في إعجاب وسأل ميدو :
— من أين أتيت به ؟

— سرّقه هو والعلبة من قفطان أبي ، إن اسمه منقوش

عليه .. إنه فم ثمين أهدي إليه من الشيخ خميس .
ثم وجه القول إلى عم سعيد :
— سنخرج الآن يا عم سعيد لمقابلة خالي سيف الدين .
— ستخرج أنت وحدك .
— وميدو ؟ !! إنه لابد أن يأتي معي .
ولكن الرجل نظر إلى ميدو في غيظ ، وهز رأسه في
عناد وإصرار .
وغمز ميدو أبو الزيك أن يخرج هو ويدعه يتصرف
مع الرجل حتى يقنعه .
وخرج أبو الزيك من الباب .. وعاد ميدو إلى بناء
المدرسة وقد بدا عليه الأسف والضيق ولم يتجه إلى الفصول
ولكنه ذهب إلى دورة المياه وخرج منها وقد خلع الجاكتة
والبنطلون وسار بالجلباب واضعاً بدلته ملفوفة على كتفه ،
ولمح عربة العيش تهم بالخروج من بوابة عم سعيد فعدا إليها
وسار بجوار الحصان كأنه صبي بائع العيش ، وبعد لحظة
كان يقف مع أبو الزيك خارج المدرسة ، وأبو الزيك ينظر
إليه في دهشة شديدة .

° ° °

لنترك قلب الأسد وزميله ينفذان مؤامرتهما ، ولنذهب

إلى الشيخ على شحاته مدرس اللغة العربية بعد بضع ساعات
وقد أخذ يجمع كرايس التحضير وهو يهيم بمغادرة المدرسة
ذاهباً إلى البيت ولا يكاد الرجل يفتح الباب . حتى يبصر الناظر
وقد اقتحم عليه الغرفة في هياج شديد ، ويصيح به :

— أين الولد أيها المجنون ؟ أين هو قل لي ؟ إنك لاشك
قد جننت ، ما هذا الهراء ؟ !
ثم يدفع إليه بالخطاب .

ويذهل الرجل ويقرأ الخطاب ولا يفهم منه شيئاً . .
ويستمر الناظر في هياجه الشديد صائحاً :

— رجل في مثل سنك يلجأ إلى مثل هذا الجنون ؟ . .
أتريد الترقية بمثل هذه الوسائل الصبائية ؟ أتختطف أولاد
الناس من أجل درجة ؟ إنك لاشك قد جننت ! أين الولد ؟
أين الولد . . ؟

— أي ولد يا سيدي الناظر ؟ أرجوك أن تهدأ ، إنها
لاشك وشاية أو نسيمة .. إني لم أغادر المدرسة قط .

— لا فائدة من الإنكار .. أنظر ، أليس هذا الفم لك ؟
أليس هذا شال عمك ؟ لقد وجدنا الفم ملقى بجوار عربة
الولد في الشرفة ، ووجدنا شال العمة قد ربط به الباب حتى
لا تستطيع الخادمة فتحه لتعدو ورائك وتستعيد الطفل . .

إن الخادمة تقسم أنها رأت طرف جبتك وأنت تعدو بالطفل .

— حرام عليك يا سيدى الناظر ، أقسم لك أنى لم أفعل شيئاً من هذا .

— إذن فلا بد أن أُلجأ إلى البوليس .

— أرجوك أن تهدأ وتفهمنى ما حدث .. اجلس قليلاً لتفاهم .

— أجلس !؟ ابنى مفقود يا أستاذ ، وتقول لى اجلس لتفاهم ؟ ابنى ضائع .. مسروق .. مخطوف !

— كان الله فى عونك .. إنى أقدر مشاعرك .. ولكن أرجوك أن تهدأ .. حتى نستطيع التفكير قليلاً .. نبشنى كيف حدث الحادث ؟ .. وأين كان الطفل ؟ .. وكيف وجد الشال والفم ؟

— لست أدرى شيئاً عن التفاصيل .. لقد كنت جالساً فى مكتبي عقب فسحة الغذاء حوالى الساعة الثانية تقريباً .. عندما فتح باب الغرفة ووجدت عبد ربه الطباخ يندفع إلى زائغ البصر ، أصفر الوجه .. ويطلب منى الذهاب إلى البيت لأن بهاء ابنى قد سرق والسيدة تكاد تبجن .

— معذورة .. كان الله فى عونها ، وماذا فعلت أنت ؟

— انطلقت بلا وعى وراء الطباخ .. وعبرت فناء الكرة
وأنا أهزول ، وفي لمح البصر كنت في حديقة البيت .. فإذا
بزوجتى تندفع إلى صارخة وهى أشبه بالجنونة .. وحاولت
عشاً تهدئة روعها .. فقد كنت أنا نفسى فى حاجة إلى من
يهدى روعى ، ولكنى تمالكت جهدى وسألتها عما حدث
فأنبأتنى أن سنية الخادمة كانت تجلس بالطفل فى الحديقة ..
وكانت هى فى الدور العلوى ، فلم تشعر إلا والخادمة تصيح
بأعلى صوتها ، الحقونى . الحقونى . الخرامية سرقوا الولد ، .
— كيف سرقوه .. هكذا فى رابعة النهار وأمام عينيها ؟
هذا شيء لا يصدق !

— لقد قالت أنهم هجموا عليها من باب الحديقة ثلاث
رجال بجلايب وشيخ معمم .

— ولماذا لم تصرخ وتستنجد ؟

— تقول إنها ذهلت . وأن الدهشة والخوف عقدا
لسانها ، وأنهم هددوها بالقتل إن هى صرخت .

— وهكذا سرقوا الطفل أمام عينيها وهى ساكنة دون
أن تبدى أية استغاثة ؟

— لقد صرخت .

— بعد أن فروا ؟

— هكذا تقول .. وهي تقول أيضاً إن الشيخ المعمم قد ربط الباب بشال عمامته حتى لا يفتح .. وأنه قد ترك هذا الخطاب في سرير الطفل ، وقد سقط منه هذا الفم وهو يهرول به إلى الخارج .

— وهذا الشيخ مفروض فيه أن أكون أنا؟ ماشاء الله وهكذا قد انقلبت على آخر الزمن لأكون سارق أطفال ، المجرمه بنت المجرم .

— من هي ؟

— ومن تكون سوى الخادمة ، أؤكد لك أنها شريكة في الجريمة .. وسأثبت لك سوء نيتها وكذبها .. بما لا يقل أدنى شك .

— كيف ؟

— سأدلك بواسطة الشهود ، على أنى لم أغادر المكتب طوال فسحة الظهر وأنى كنت منهمك فى تصحيح الكراريس وسأذهب معك إليها .. فإذا قالت لك أنى لم أكن ذلك الشيخ .. فماذا يكون رأيك ؟

وبدت الحيرة على وجه الناظر .. ولكن الشيخ شحاته جذبه من يده قائلاً :

— هيا بنا أولا نرى الخادمة ، ونناقشها .
وسار الاثنان يستحثان الخطى إلى بيت الناظر ، ووقفوا
في الحديقة يستجوبان الخادمة ، ومن وراء الباب كانت
تصلهما نبهة الأم .
وأخذت الخادمة تشرح الحادثة وهي وجلة خائفة ،
وأخيراً سألها الناظر :
— هل تستطيعين تمييز الرجال إذا عرضوا عليك .
وأجابت الخادمة في قلق وتردد :
— أظن ذلك .
وسألها الناظر وهو يشير إلى الشيخ شحاته :
— هل هذا هو الشيخ المعمم الذى كان يصحب الرجال
والذى رأيت طرف جبهته ؟
وزاد القلق على وجه الخادمة واشتدت حيرتها وأخذت
تتفرس في وجهه ، ولكنها ما لبثت حتى تشجعت وقالت
في تردد :
— أجل . . إنه هو .
ثم ما لبثت حتى عادت تؤكد :
— أجل . . أجل . . إنه هو بعينه .
— أ رأيت يا سيدى الناظر . . ألم أقل لك .

ووقف الناظر يقلب البصر فيما بينهما ، وقد ازدادت
حيرته وشكوكه .. وأخيراً قال فى لهجة حازمة :

— على أية حال .. وأياً كان السارق ، سأعطى لهاملة
ربع ساعة ، وإذا لم يعد الطفل فسأبلغ النيابة .
وهنا تدخل عبد ربه الطباخ صائحاً :

— لا داعى للكذب يا سنيه .. قولى الحق ، إنك لم
تكونى مع بهاء ساعة أن خطفوه .. لقد كانت تسألنى عن
الساعة فى المطبخ وتركت الطفل فى الحديقة ، فلما عادت إليه
لم تجده فى عربته ، وهى لم تر أحداً من اللصوص .. بل كل
ما رأيته هو الفم والخطاب والشال .

وصاح الناظر :

— هكذا ؟!

وصاح الشيخ شحاته :

— ولم لم تقولى الحق يا بنت الصرمة .. لم تدعى على
الناس كذباً وتتهمى الأبرياء ؟
وقاطعه الناظر قائلاً :

— على كل حال .. الشال .. والفم والخطاب .

— أرجوك ياسيدى الناظر .. أنا لم أجن بعد حتى أفعل
هذا .. ولكن دعنى أفكر قليلاً : أين كان الفم .. فى الدرج

وأيـن كان الشال .. فى الدولاب .. والـخطاب .. ماسره .
ثم صمت لحظة وهو ينظر إليه وأخيراً قال :
.. اللعين .. ابن اللعينة .. لابد أن يكون هو الذى
قد فعلها .

— من هو ؟

— عبد الحميد .. ابنى .. فلنبحث عنه ، ولنسأل عليه فى
الفصل ، فإذا لم نجده فلا شك أنه هو الذى خطفه وسأعرف
كيف أحصل عليه وأريه .
واندفعا الإثنين إلى فصل عبد الحميد ، فإذا بميدو جالس
فى الحصة وقد بدا عليه منتهى الهدوء والبراعة والطيبة .
وجذبه أبوه من قفاه خارج الفصل ووقف هو والناظر
يسألانه :

— أين الطفل ؟

— طفل ؟ أى طفل ؟

— الطفل الذى سرقتة .. ابن البية الناظر .

— أنا سرقت ابن الناظر ؟ وماذا أفعل به ؟ آكله ؟

ورأى أبوه أن يأخذه بالحسنى فقال متوسلاً :

— بابنى يا عبد الحميد .. أعد الطفل .. ولن يفعل بك
أحد منا شيئاً .

- قلت لك إنى لم أغادر المدرسة .
- وما رأيك فى هذا الخطاب ؟
- وأمسك بالخطاب يقرأه وهو يتصنع الدهشة وأخيراً
هز رأسه وقال بأسف :
- ومالى أنا ومخلب القط .. كل هذا ليس لى به شأن .
- وقال الناظر يائساً :
- ليس أمانى إلا تبليغ النيابة .
- ولكن الشيخ شحاته قال وهو يضرب سهمه الأخير :
- ليسمح لى حضرة الناظر بالذهاب إلى البيت فقد
يكون المجنون ذهب به إلى هناك ؟
- وقال الناظر فى لهفة :
- أجل ! أجل ! ربما قد فعل ذلك .
- وذهب شحاته إلى البيت ووقف يطرق الباب ولم تكذب
امراته تفتح له حتى فوجئ بصراخها فى وجهه :
- يا ضلالى ، يا فلاتى .. هذا الولد ، إيه حكايته ؟ هل
تزوجت وأنجبته دون أن أدري ؟
- ولد الحمد لله ، هاتيه بسرعه .
- متلف عليه ؟ وحشك ؟
- هاتيه أولاً .

— لقد أعدته معها .

— مع من ؟

— مع أم سيدة الغسالة ، لقد قالت لى إنها ذهبت إلى بيتها فوجدته هناك وأنبأها الجيران أن ابنك عبد الحميد تركه لها لكي تربيه .

— عبد الحميد .. ابن الكلب ، لقد كنت أعرف أنه هو الذى فعلها .

— طبعاً ، هو الذى فضحك .

وأطبقت على زمارة رقبته ، ولكنه تخلص منها صائحاً :

— اتركينى الله يستر عرضك ، إنه ابن الناظر وسيبلغ النيابة إذا لم أعده له بعد ربع ساعة .
وانطلق يعدو إلى أم سيدة .

وأخيراً أعاد الولد إلى أبيه ، وبقيت عليه مهمة أخيرة
هى البحث عن ميدو .. قلب الأسد .

الذى كان يجلس تحت النخلة فى انتظار الفدية .



أم نجية

حقيقة أنها تمص رأسها بمندبل بأويه . .
وحقيقة أننا نلمح فوق ركبتيها - أو ما انحسر
عنها الجلباب - كورنبشاً لسروال ملون .
ولكن أيسكني هذا لجعلها من الجنس اللطيف ؟
ولكني نقول عنها « أم نجية » ؟



تعال

معى نشاهد ، أم نجية ، فى أول فم (بضم الفاء) .

تبدأ المعمعة بالتحضيرات الأولية .. حيث

تنحنى أم نجية على وابلور الغاز فتدفع فى جوفه بضعة أنفاس
سريعة قوية متلاحقة ثم تمد يدها بالإبرة فتحشرها فى
الثقب .. وتمر فترة قصيرة يبدو الوابلور خلالها وقد كتمت
أنفاسه وخبا أواره وانطفأ لهيبه .. ثم ترفع الإبرة .. فينطلق
الدخان فى فحيح شديد ويبدو الوابلور وكأنه قد نفس عن
كربته بعد طول خنق وكبت .. وتسرع المرأة فتشعل عود
ثقاب وتدفع به فى عجلة إلى ثقب الوابلور الزافر الصافر ، فتنتطلق
النيران متأججة مستعرة ، ويدوى صوتها فى زئير وهدير .
وتزيج أم نجية الوابلور جانباً ثم تجذب الصفيحة الفارغة
فتدفع بها تحت الحنفية وتفتح الصنبور فتندفع المياه من فوهته
وتندفق هابطة إلى قرار الصفيحة محدثة مزيداً من رنين
وصخب ومزيداً من ضجيج وقعقة لو كان هناك — بعد
صوت الوابلور — من مزيد .

وتترك المرأة الصفيحة لتمتلئ بالمياه وتلتفت إلى سبت
الغسيل ، وقد كدست فيه الملابس وتعالى فوقه مكونة منه
كوماً هرمى الشكل ينافس فى ضخامته أهرام الفراعنة

وتناثرت حوله بضعة مناديل وجوارب وخرق .

وزفرت أم نجية زفرة حارة وهى تقلب السلة بما فيها . .
وأخذت تعبت فى الملابس بيدها باحثة فاحصة . . وكانت
الصفيحة قد قاربت الامتلاء فنهضت من مكانها ورفعتها بين
يديها ووضعتها على الوابور وبدأت تفتق من الملابس ما يستحق
الغلى فتكومه على حدة . ثم سحبت الطشت لترص فيه الفم
الأول مع البارد ، واتخذت مجلسها أمامه مشمرة عن ساعديها
حاسرة قيصها عن ساقها . . وقد أحاطت بهما الطشت .
وتبدأ المرأة المعمة . . وييمينها سلاحها الماضى البتار
قطعة من صابون الغسيل « أبو ميزان » . . تحك بها الملابس
لتفنى ما علاها من أوساخ وبقع وعرق وأتربة . . وتثير بها
من الرغوة البيضاء ما يملأ رحاب الطشت . . فتبدو كأنها
زبد الموح فى بحر هائج مانح

وتبدو أم نجية وقد انحنى ظهرها وأخذت ساعداها
يتحركان فى الطشت حركة مستمرة منتظمة كأنها آلة لا تكل
ولا تمل .

ولست أشك فى أن أول ما يطرأ على ذهن الإنسان
حين يقع عليها بصره . . هو : لم كانت المرأة « أم نجية » ،
ولم تكن « أبو نجية » ؟ .

كيف أمكن حشرها في زمرة النساء؟ .. وبأى حق
نطلق عليها اسم الجنس اللطيف؟ .

ومن يكون الجنس الخشن إذا لم تكن أم نجية؟ .

هذا الوجه ، القرودى ، .. ذو العينين الضيقتين والأذنين
الكبيرتين والأنف المفرطح والشفة العليا العريضة والسفلى
المدلاة والأسنان المتناثرة والعنق الغليظ القوى المعرورق
المركب على جسد صلب متحجر ، مقلحف ، كأنه قد من
صوان .. أو كأن العصاراة التى به قد جفت فأضحت أشبه
بجذوع الشجر التى لا تنفذ فيها البلط أو المناشير التى لا تصلح
إلا لى تكون حطباً لنيران آكلة .

وهاتان الذراعان المفتولتان والساقان العجفوان اللتان
تستطيع أن تميز تركيبهما عضلة عضلة ، وعرقاً عرقاً ، وهى
تتحرك وراء طبقة الجلد السمراء الرقيقة .

أبعد كل هذا .. نقول إنها امرأة .. وجنس لطيف؟
حقيقة إنها تعصب رأسها بمنديل بأوبه ، . وحقيقة أننا
نلمح فوق ركبتيها — أو ما انحسر عنهما الجلباب — كورنيشاً
لسروال ملون .

ولكن أياكى هذا لجعلها من الجنس اللطيف؟ ..
ولكى نقول عنها أم ، نجية؟ .

وما قيمة منديل الرأس والسر وال الملون في أن يجعلها
« أم ، نجية .. إذا كان ، أبو ، نجية .. يشاركها فيهما .
أى والله .. إن ، أبو نجية ، نفسه .. كثيراً ما ضبط
متلبساً بالسر وال الملون .. ومتعصباً بمنديل الرأس .
أفيسه تطيع المنديل والسر وال بعد هذا أن يكونا علامة
مميزة للجنس اللطيف ؟

لنترك « أم نجية ، منهمكة في الغسيل .. محنية الظهر ..
متحركة الساعدين مفتوحة الساقين بين الوابور والصفحة
والطشت وأكوام الغسيل ، ولننطلق في ربوع الدار لنبحث
عن الفرقة الثانية .. أو ، أبو نجية » .

كان الزوجان .. « أم وأبو نجية ، مثلاً لنقيضين ..
فالمرأة عبوس متجهمه لا تعرف الابتسامة طريقها إلى
وجهها ، والرجل مهزار خفيف الدم « ابن نكته ، لا يكف
عن الضحك قط .. ولم يكن هناك ما يخيف الرجل وينغص
عليه حياته كأمراته .. وكان الاثنان يعملان كخادمين في
بيتنا الكبير الكائن بجارة الروم بالدرب الأحمر . وإني أعنى
باليث الكبير .. أنه كان كبيراً فقط .. لا فخماً ولا وجهاً
ولا عظيماً .. وهل هناك أكبر من بيت يحوى في داخله
مسجداً وضريحاً .. يرقد تحت قبته ولى من أولياء الله

الصالحين يدعى « الشيخ ربحان » . . يزوره الناس للتبرك
ولوضع النذور في صندوقه .

ولقد كان صندوق النذور هذا مبعث « تشنيع » بين
الأصدقاء . . فلقد كانوا يدعون أننا نعيش من نذور الجامع
وإننا بنينا الضريح لكسب الرزق .

ألا يعتبر كبيراً ذلك البيت الذى يحوى بين رحابه مجاهل
خربة . . لم نحاول استكشافها قط . . بدعوى أنها مسكونة !
هيا بنا ننطلق في البيت الكبير . . ذى المشريات
والسراديب والدهاليز والدور المسروقة والمنادر والأقية
المظلمة ذات الجن والشياطين . . لنبحث في كل ذلك عن
أبو نجية . . وهى مهمة لو تعلمون عسيرة . . فالرجل لا يكاد
يستقر له قرار فهو أشبه « بفرقع لوز » . . متوائب قفاز .
ها قد وجدناه أخيراً ، وقد تسلق التكعية ، وبدأ في
قطف « ورق العنب » . .

وأى عجب في ذلك ، والرجل يعيش في الصيف على
ورق العنب ، وفي الشتاء على إبر الوابور ، ومشابك الغسيل
والشحاذة .

مفهوم ؟ ! ، أم تريدون بعض الشرح والتفصيل ؟
كان الرجل يعيش في الصيف على ورق العنب ، فهو

لا يكاد يستيقظ من النوم ويطمئن إلى أن أم نجية ، أو
أم قويق ، كما كان يسميها قد غادرت المندرة الملحقة بالبيت
التي كانا يسكنانها معاً ، وصعدت إلى أعلى لترعى شئوننا
وتقضى حوائجنا ، حتى يتسلل على أطراف أصابعه ويخرج
إلى الحديقة المترامية الأطراف المشبعة المتكاثفة المهملة المتربة
فيتسلق التكمية ويبدأ في جمع الورق ، حتى يملأ حجره ، ثم
يذهب إلى « الفسقية » ، الواسعة المهذمة ، فيغسل فيها الورق
لغسله ويبدأ في رصه ثم لفه فيما يتيسر من مناديل الرأس ،
وينطلق في الطرقات لبيعه ، منادياً : « صباحي يا ورق العنب ،
ولا تستغرق عملية البيع سوى دقائق معدودات ، فهو
لا يدقق في السعر ، لأنه لا يريد أكثر من ثمن « القرعة » ،
فلا يكاد يحصل عليه حتى يرمى ببقية الورق على قارعة الطريق
أويمه لأي إنسان ، ثم ينطلق إلى أقرب « بوظة » .

ويعب « أبو نجية » من البوظة كفايته ، حتى « يستمخ »
أو — على حد قوله — « يوزن رأسه » ، ثم يعود إلى البيت
مبسوطاً أربعة وعشرين قيراطاً ، مترنماً مترنحاً ، يضيء
بياض أسنانه ، سواد وجهه ، ويهتز جسده الضئيل الأعجف
من فرط الطرب ، وتلتف ساقاه المعوجتان النحيلتان إحداهما
حول الأخرى ، وينثر النكات ذات اليمين وذات اليسار .

هذا في الصيف ، أما في الشتاء فالمسألة أعوص من هذا
وأكثر تعقداً ، فالتكعية قد تجردت من أوراقها ، حرمت
، أبو نجية ، من مورد رزقه السهل ، وأضحى الحصول على
القرعة يحتاج منه إلى كثير جهد ومشقة .

ويفكر أبو نجية ، حتى بضنيه الفكر ، ثم ينتهي به دائماً
إلى أمر واحد ، هو أن أم نجية سترفض رفضاً باتاً أن
تعطيه مليها واحداً ، وهو لا يستطيع أن يسأل أحداً من
أهل الدار ، لأنها قد حرمت عليهم أن يعطوه شيئاً ، وهم
لا يجسرون أن يعصوا لها أمراً وهو كذلك ان يستطيع
الوصول إلى كيس نقودها ، فهي تربطه في تكه سروالها .

إذن لم يبق أمامه سوى أمر واحد ، وهو سرقة إبر
الوابور ومشابك الغسيل .

أجل هذه أشياء يستطيع أن يسرقها منها دون أن تحس .
وهكذا يبدأ أبو نجية في جمع الإبر والمشابك ، والتسول
على باب الضريح حتى يخرج من كل هذا بضمن القرعة .

لترك الرجل يتوائب على التكعية كالقرد ليجمع في حجره
ورق العنب اللازم لبيعه ثم يصعد مرة أخرى إلى أم نجية .
المعمعة دائرة على أشدها ، نحن الآن في « الفم » الثاني ،
وأم نجية كزبانية جهنم تقلب الغسيل بالنشابة في الماء المغلي

وقد تصاعد حولها الدخان وسالت من وجهها قطرات العرق .

لم يكن أبو نجية وحده هو الذى يخشى المرأة ، بل كان أهل الدار كلهم يخافونها ، ورغم أنها كانت تقوم فى البيت بكل أعمال الخدم من غسل وطبخ وكبس ومسح وتنظيف فإنها لم تكن قط خادمة بل كانت مهية أكثر من أسياد البيت ، وأذكر أنى لم أكن أخشى أبوى كما أخشاها .

كيف لا . وجدى وجدتى وأبواى وأعمامى وعماتى يخشونها ويعملون لها ألف حساب ، لقد كانت خادمة جدى منذ الصغر وهى التى قامت بتربية أولاده جميعاً ، ولها على أهل الدار حق التربية .

وعاودت أم نجية « الفم الثانى » وتبعته بالثالث ثم رصت الملابس « المعصورة » فى السبت . . وحملتها على كتفها . . وصعدت إلى السطح لتبدأ عملية النشر .

وشدت الحبال ومسحتها . . وبدأت فى النشر ، ومدت يدها لتأخذ كيس المشابك حيث تعودت أن تضعه ولكنها

لم تجده ، وهنا عضت على نواجذها . وانطلقت من فمها
زفرة تهديد ونفاد صبر ، وصاحت بأعلى صوت تسأل عن
المشابك ، فلم يجبها أحد .

ونظرت من أعلى السطح فوق بصرها على أبو نجية ،
وقد أقبل يترنح في الحديقة بوجهه الأسود وجسده النحيل
الضئيل وهو يصبح بأعلى صوته مترنماً : كيد العواذل كأيدي .
وصرخت المرأة بأعلى صوتها ، منادية الرجل بصوت
يشبه الزئير :

— أبو نجية .

ونظر الرجل إلى أعلى ثم هز رأسه ببساطة في تساؤل
عن سر هذه الضجة .

وعادت المرأة تهدير صائحة :

— هات المشابك قوام حسن انزل لك ، أخلى يومك
زى وشك .

وعاد الرجل ينظر إليها في بلاهة ، وصاح ضاحكا :

— يا أم قويق .. يحموا ابوكي في كنكة .. أبوكي نشره
على الحبل من غير مشابك طار .. هع .. هع .. يا أم قويق
قولي اشمعني .

وهنا فاض بالمرأة غضبها ، وغلى مرجلها ، واندفعت

الصرخات من فمها كطلقات المدافع وصاحت به :

— والنبي واللى نَبأ النبي .. لا فرج عليك اللى مايتفرج ،
يا حرامى المشابك ، يا اسود الوش .

وتركت الغسيل واندفعت على السلم هابطة كالقذيفة ..
وقد أمسكت يمينها نشابة الغسيل .

وبعد لحظة كانت تمسك الرجل من عنقه ، وتهزّه فى
عنف صائحة :

— فین المشابك ؟

— مشابك إيه يا وليه ؟

— مشابك الغسيل اللى سرقتهم .. عشان السم الهارى اللى
بتحطه فى جوفك .. والنبي لأ طافح حولك .. انطق .. فین المشابك ؟

— سيبينى يا وليه .. ماشفتش مشابك .. المشابك
بتوعك دول ما يلزمونيش فى الصيف .. العنبة مخضره ..
والورق كتير ، والأشيارضا .

ولكن أم نجية لم تقتنع .. فالمشابك لا يمكن أن تضيع
إلا إذا كان أبو نجية قد سرقها .

ورفعت يدها بالنشابة وبدأت الضرب ، وعلا الصياح .
وهبط أهل الدار جميعاً على صوت الصياح ، وحاولوا
تخليص الرجل من براثن المرأة عبثاً فقد أقسمت ألا تتركه



إلا إذا أعاد المشابك .

وبدأت المحاولات لإقناع «أبونجيه» بأن يعيد المشابك
بالتى هى أحسن ، ولكنه جلس يبكى وأقسم أنه لم يرها .
واستمر الضرب .. واستمر الصباح .. حتى تمكن
الاهالى فى النهاية من أن يخلصوا الرجل من يدها بعد أن
كلت من فرط الضرب .

واقنع الاهل أن أبونجيه مظلوم وأن المرأة قد افترت
عليه بالضرب .. وحاولوا أن يقنعوها بأنه لم يسرق المشابك
وأنه ليس فى حاجة إلى السرقة مادام ورق العنب موجوداً
ومع ذلك فقد أصرت على أنه لم يسرقها سواء ، واستمرت
تضربه كل صباح حتى يعترف .

وهكذا أصبح ضمن أعمال أم نجيه ، التى تواظب على
أدائها يومياً .. علقه لابونجيه « على الریق » تصبجه بها ،
بغية استعادة المشابك .

وعندما أفكر الآن أجزم بأن الزوجين كانا على نوع
من العته ، فالمرأة قد استمرأت عملية الضرب الصباحى ،
والرجل قد تعودده حتى بات يستسيغه ولا يعترض عليه ،
ولا يشكو منه كما يتعود المؤمن المصاب قضاء الله فيه .

إن المسألة قطعاً لم تعد على مرّ الأيام مسألة مشابك

مسروقة ، بل أضحت عادة ، وإن ظلت محتفظة من ناحية
الشكل بمسبباتها الأصلية ، فلا يكاد يرتفع صياح أبو نجيه ، في
الصباح ويتساءل أحدا عن السبب ، حتى يجيبه الآخر ببساطة :
— المشابك .

ولقد ضيقنا نحن ذرعاً بالضرب والصياح حتى قال جدى
ذات يوم للمرأة زاجراً ، وكان أقدر أهل الدار عليها :
— إنت يا وليه مش تبطلى بقى الزيته اللى بتعملها على
الصبح . . كل يوم لازم تقلقى منامنا وتصحيننا على صوت
الصريخ والصوات .

ونظرت المرأة إلى الجد ، ولوت رقبتها مشيخة برأسها
إلى الناحية الأخرى كأنها تتقزز من منظره وحديثه . . ولم
تجب عليه بكلمة . ولكنها زامت ، كالحيوانات . . علامة
على أن الحديث لا يعجبها .
وعاد جدى ينهرها بقوله :

— إنت يا وليه . . إنت سامعه الكلام اللى أنا بقوله ده
والا لا .

— بتقول إيه ؟ .

— بقول لك كفايه ضرب بقى فى الراجل الغلبان المسكين .

— مسكين ؟ . . ياخى جه سكينه تخرط مصارينه ؟ . .

والمشابك اللى سارقها علشان السم الهارى اللى يحرق جوفه
برضه مسكين ! ؟

— ما قال لك إنه ماسرقهاش .

— ضلالى ابن ضلالى .. وكذاب ابن كذاب .

— ليه بس يام نجيه .. وهو يسرقهم ليه .. وقدامه
ورق العنب مالى التكعيه .. الراجل يادوبك ما بيعوزش
غير القرش الأبيض ثمن قرعة البوظه .. واحنا فى الصيف
والتكعيه مكفياہ وأشيته رضا ، فلزومه إيه بقى يسرق
المشابك .. يعنى حايعمل إيه بتمنها ؟

— مين يعرف ؟ دا أصله غويط .. ما حدش يعرف
له نيه .. يمكن راح يتجوز ؟ .

— بتمن المشابك ؟ ١١ .

— يعنى هوا حايتجوز إيه ؟ مش شحاته زيه .. هو دا
يستبعد عليه حاجه .. أنا مش فى الشتا اللى فات قافشاه رابط
وابور الجاز فى دكة اللباس وخارج بيه .

— على العموم .. إذا كان على المشابك .. أنا جيت لك
مشابك بدالهم .. ومستعد أجيب لك كل يوم دسته مشابك .
— أبدأ .. لازم يرجع هو المشابك اللى خدها ..
حاتنى وراه بالنشابه لغاية ما دوها على جتته .. أو يرجع

المشابك بالتي هي أحسن . . يانا يا هوّا .

ويأس جدى من ردها عن غيها . . واستمر الضرب
واستمر الصراخ . . فلم يجد بداً من أن يحاول أن ينهى المسألة
برأسطة الطرف الآخر المعتدى عليه .

وأذكر أنه هبط ذات مرة إلى المندرة . . وهبطت في
أعقابها . . وكانت ساعة ظهر وأم نجية منهمكة في الطبخ في
أعلى الدار . . وأبو نجية راقد في ركن مظلم على قفص من
الجريد وبالقرب من قدميه وعاء أشبه بقلعة صغيرة من الفخار
وضع في أحد أجنابه قطعة من الغاب .

وأيقظه جدى فانتفض فزعاً وبدأ الصراخ .
وصاح به جدى ضاحكاً مهدئاً :

— بس . . بس . . بتصرخ ليه ؟

وقال الرجل وهو يدعك أجفانه بيده وينتفض مرتجفاً :

— هيّ لسه مبتدئتش الضرب ؟ .

— لا لسه . . ماتخافش .

— أنا مش خايف . . خليها تضرب وتخلص .

— طيب يا أخى ما توفّر على نفسك الضرب ، وترجع

لها المشابك .

— ماخذتش حاجه .

— على العموم . خدت والا ماخذتش أنا حاجييلك

دسته مشابك ترجعها لها وتستريح .

— مش مرجع لها حاجة أبدآ .. وانا وهى والزمان
طويل .. أما أشوف مين اللى حا يغلب .

— هى بتضربك مش عشان المشابك .. هى خايفه
لتكون بعتهن وحاتتجوز بتمنهم .

— أنا حا اتجوز؟ ليه اتجننت؟ بعد اللى شفته من أم قويق
.. اتجوز تانى !! يا أخى دول يقولوا .. لا يلدغ المؤمن من
جحر مرتين .. وأنا مش مؤمن .. إلا فى الحكاياه دى بالذات .
— يعنى انت مبسوط من العلقه اللى بتاخذها كل يوم؟
— لا مبسوط ولا زعلان .. أهى زى كل حاجة
بنعملها فى عيشتنا .. أنا ما دام عندى القرعه والجوزه ..
أهى كل حاجة محتمله .

ولما لم يجد الجد فائدة من الحديث معه ، فوَضَّ أمره
إلى الله .. ولم يجد هناك حلاً .. خيراً من أن نعوذ نحن
أنفسنا على علقه المشابك الصباحى ، كما كنا نسميها .

وظل الصباح يعلو من المنذرة كل صباح .. حتى كان
ذات يوم انقطع فيه الصباح ، فاعتقد أهل الدار أن الرجل
لا بد قد اعترف ، وأعاد المشابك .. وانتظروا أن تصعد
أم نجية حاملة المشابك .. ولكن أم نجية لم تصعد .. لسبب

بسيط هو أنها قد ماتت .

وفوجيء الأهل بموتها وتملكتهم الدهشة والحزن .
ولم يشكروا في أنها راحت نتيجة ظلمها للرجل المسكين ،
الذى اتهمته كذباً بسرقة المشابك وظلت تضربه كل يوم .
وخرج أبو نجيه متسللاً كعادته إلى التكية فجمع منها
ما تيسر من الورق ، وانطلق من الدار .

وبعد برهة رآى وهو يعو د مترنحاً مترنماً كعادته ، ثم اختفى في
الحديقة ليظهر بعد لحظات .. وقد حمل كيس المشابك المسروق .
وبهت الأهل وسألوه في دهشة :

— ولما المشابك كانت معاك المده دى كلها .. مادتهاش
ليه لأم نجيه ووفرت على نفسك الضرب ؟
— أصلها كانت ندر للشيخ ريحان .
— عشان إيه ؟

— عشان ربنا ياخذ أجلها ويريحنى .
ثم رفع يديه إلى السماء وتمتم قائلاً : اخمد الله ، .
وتحرك أبو نجيه مترنحاً إلى الضريح ، وفي صندوق النذور
ألقى بكيس المشابك .. وقرأ الفاتحة على روحه أم قويق ،
وعندما التقى بجدى بعد ذلك سأله ضاحكاً :

— شفت بقى يا عم !! مين فينا اللي غلب ؟ !

الواد عطوه

عطوه ؟ ! ولكن أين عطوه ؟

يا لاجمق ! ! يا لافناء ! !

ان عطوه الآن . . لابد أن يكون غارقا
في أية « غرزة » أو على أحسن الفروض يسط
في نومه في بيت خالته « أم نفيسة » بائمة النول
النسابت في سيدي زينهم فهو شديد التقرب منها في
هذه الأيام من أجل ابنتها « نفيسة » .



المنقذ ، يومى افندى ، على ضجيج الخماليين والركاب
عند ما وصل القطار فى النهاية إلى محطة مصر .

ومضت فترة وجيزة نفص عن نفسه خلالها غبار القطار
ودعك وجهه وعينه ، وتشاءب بضع مرات . . ثم خلع
المعطف الأبيض الشبيه بمعطف الحلاقين . . والذى يلزمه
فى كل سفره ليقى بذلته شر السفر . . وليصد عنها عوادى
الغبار والهباب . . ويجعلها فى غير حاجة إلى كى أو تنظيف .
وبدأ الركاب ينزلون من الديوان ، ووقف هو على
أطراف أصابعه ومد يده فجذب الحقيبة المنتفخة الموضوعة
على الرف ثم طوى المعطف بعناية وفتح الحقيبة فوضعه
فوق المنشفة والجلباب والملفات المليئة بالأوراق ، ثم حمل
الحقيبة ، وهبط من القطار مندساً بين أفواج الركاب
المتحركين على الرصيف .

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساءً وميدان
المحطة قد خفت فيه الحركة وبدأت فيه بضع تاكسيات متناثرة
يتصايح أصحابها بين آونة وأخرى : « تاكسى يا سه ؟ »

وذابت جماهير الركاب فى الميدان وتشعبوا فى الطرقات
والمركبات وعربات الترام واتخذ بيومى افندى طريقه إلى

الأوتوييس الأزرق المتجه إلى الزيتون ، واستحث الخُطى
حتى يحجز لنفسه مقعداً قبل أن تشغل العربّة بالركاب .
واستقر به المقام على المقعد ، ودس الحقيبة في أسفله ،
وأسدل زجاج النافذة حتى يتقى شر ريح صرصر كان يحس
بها تنفذ إلى عظامه .

اطمأن بيومى فى مقعده ، وأعد النقود فى يده انتظاراً
للكمسارى ، وأحس بالدفء والراحة . . فعاد النوم يهاجمه
بلا هوادة .

لم يكن الرجل قد تعود السهر إلى تلك الساعة المتأخرة
ولاسيما فى ليالى الشتاء . . لقد كان الليل يوشك أن ينتصف
وهو يحس بجسد منهك وذهن مكدود بعد أن أمضى اليوم
كله فى عمل مستمر ، وكان المفروض أن يكون الآن راقداً
فى الفراش ينعم بالدفء والراحة . . ولكن ما حيلته وقد
خذه حسين ابن عمه الذى كان ينوى أن يقضى الليلة عنده
فى طنطا وسافر فجأة إلى دمنهور .

لقد أحس بخيبة شديدة عند ما طرق الباب دون أن
يجيبه أحد ، وعند ما أنبأه البواب أن حسين افندى رحل
إلى دمنهور وأنه لن يعود الليلة .

كانت الساعة تربو على السابعة . . ولم يكن أمامه سوى

أحد أمرين : إما أن ينزل في أحد الفنادق وإما أن يعود إلى القاهرة ولم يطل به التفكير حتى استقر رأيه على العودة إذ لم يجد هناك مبرراً لأن يغرم أجر الفندق بعد أن انتهى من قضاء حاجته . . ولم يعد به من حاجة إلى البقاء . أجل . . لقد حصل على معظم ما ينبغي الحصول عليه من أوراق لازمة للقضية ، ولم يبق إلا بضعة أوراق تافهة يمكن المطالبة بها بالبريد . . فهم ليسوا في حاجة ملحة إليها في الوقت الحاضر .

وأحسن يومى افندى وهو يتنهد في مقعده في الأتوبيس بشيء من راحة الضمير . . فقد استطاع أن ينهى عمله في يوم واحد . . ولا شك أن عبد الرحيم بك سيقدر بمجوده خير تقدير ، وسيشكره على سرعة الحصول على الأوراق المطلوبة . . لأنه سيهيء له وقتاً كافياً لدراسة تلك القضية المزعجة المعقدة . وهنا شرد ذهنه في القضية ، وأخذ يستعرض ما يعرفه من تفاصيلها ، وأحسن بقشعريرة تسرى في بدنه .

لقد كانت جناية مروعة . . قتل فيها المجنى عليه بسكين حزت رقبة من الأذن إلى الأذن ، وتركت الرأس تتدلى من الجسد معلقة على بضعة عروق .

لقد شاهد بنفسه منظر الجثة ، وقد تجمدت الدماء من
حولها ، وبدأ انجنى عليه أشبه بخروف الضحية ، وقد وجد
بجواره السكين الذى ذبح به . . . سكين مطبخ مشحوذ
السلاح ، مدبب الأطراف .
أى وحشية هذه التى دفعت القاتل إلى أن يرتكب تلك
الفعلة المنكرة ؟ .

ولم ؟ ! وما هى الدوافع ؟

إن الرجل لم يكن شديد الثراء حتى يطمع قاتله فيه . .
ولا كان بالرجل المشاكس حتى يقال إنه قتل لثأر قديم .
إن المسألة تخفى وراءها كثيراً من الأحاجى والألغاز ،
أو من يدري ؟

ربما كان الرجل قد ذهب ضحية ظن خاطيء وقد يكون
القاتل لصاً توهم بالرجل ثراء فسطا على داره . . فلما قاومه
الرجل ذبحه ذبح النعاج .

على أية حال . . لقد حامت الشبهات حول البواب ،
وألقى القبض عليه فعلاً ، ولكن الرجل يبدو بريئاً ويقسم
أنه مظلوم

وأحسن يومى بالأنويس قد توقف . . وفتح عينيه
وحملق فيما حوله فاستطاع أن يميز أنه قد وصل إلى العباسية

وأبصر بالساعة التي تتوسط الميدان . . فإذا بها تشير إلى
الثانية عشرة إلا ربعا . . بعد ربع ساعة سيصل إلى الدار
وربع ساعة أخرى سيكون راقداً تحت اللحاف في فراشه
الدافئ ، وهو يستطيع أن يتأخر في الاستيقاظ كما يشاء . .
فيعوض سهر الليلة .

وأحس بيومي بانقباض في معدته وحركة في أمعائه ،
وتلك أولى دلائل الجوع عنده .

إنه لا شك جوعان . . بل جوعان جداً . . فهو لم
يتناول لقمة واحدة منذ أن تناول غداءه في أحد مطاعم
ضنطا في الساعة الواحدة ظهراً .

عشر ساعات لم يتناول فيها لقمة واحدة ؟ . هذا كثير !
لا بأس عليه . . إنه سيعوض معدته خيراً بعد طول
الصبر والانتظار . . إن خادمه عطوه يستطيع أن يرضيها
بطبق من البيض المقلّى ، وشيء من الجبن والزيتون .

أجل . . أجل . . إنه يذكر أن في التلمية مالا يقل عن
عشر بيضات ، ونصف أقة جبن ، ونصف أقة زيتون ، وهو
لا يعتقد أن الخنزير عطوه قد سطر عليها . . أو على الأقل
لا بد أن يكون قد ترك له بعضها — خمس بيضات مثلاً ،
وبعض الجبن والزيتون — ولكن ترى هل سيجد هناك

خبزاً ؟ لقد سبق أن نبه عليه مئات المرات ألا يترك البيت
بلا خبز . وأنه لا بد أن يكون هناك رغيقان للطواريء .
وهل يمكن أن يكون هناك طواريء أكثر من هذا ؟
حمد الله . إن الرغيف الأبيض ينفع في الذليلة السوداء
هذا إذا كان عطوه الحمار قد تذكر الأمر وقام بتنفيذه .

عطوه !! ولكن أين عطوه ؟ !

وفجأة ضرب بيومى افندى جبينه بيده . . كمن تذكر
أمراً خطيراً .

يا للحمق . . ويا للغباء . . إنه ان يجد عطوه في البيت .
لعنة الله عليه من غبي ضعيف الذاكرة . . أو قد نسي أنه
قد أعطى لعطوه أجازة اعتقاداً منه أنه سيبيت ليلته في طنطا .
إن عطوه الآن لا بد أن يكون غارقاً في أية « غرزة »
أو على أحسن الفروض يغط في نومه في بيت خالته أم نفيسه
بائعة الفول المنسابت في سيدى زينهم . . فهو شديد التقرب
منها في هذه الأيام من أجل ابنتها « نفيسه » .

كيف يستطيع العشور عليه الآن . . أو كان لا بد له أن
يحب في سيدى زينهم ؟ هذا من فرط غبائه ، ومن
غضب الله عليه .

إذا كان يعمل في الزيتون فلم لا يحب في الزيتون . أو

على الأقل في كوبرى القبة . . أو في منشية البكرى .
ولجأة مد بيومى افندى يده وتحسس مفتاح الشقة في
جيبه حتى يتأكد من وجوده ، وإلا كان المصاب أخطر
شأناً . واضطر إلى كسر الباب ، أو قضاء ليلته في هذا البرد
بلا مأوى .

وأطلق من صدره تهيدة ارياح عند ما اطمأن إلى
المفتاح ، وحمد الله الذى يلهمه دائماً فعل الصواب .
ماذا يمكن أن يحدث لو لم يكن يحمل في جيبه
مفتاح الشقة ؟

وهنا توقف الأوتوبيس . . وحملق بيومى خلال
الزجاج فتبين أنه قد وصل إلى المحطة التى يجب عليه النزول
فيها . . فوثب من مكانه ، ودفع جاره بمنكبه حتى يخلو له
الطريق قائلاً فى عجلة : « عن إذنك » ، ثم مد يده فجذب
الحقيبة من أسفل المقعد ، وهروا هابطاً من الأوتوبيس
وهو يصيح بالسائق محذراً بين أونة وأخرى « حاسب . .
حاسب من فضلك » .

وأخيراً . . أنال بيومى افندى قدميه ظهر الأرض . .
وأحس بالاستقرار عليها . . وانتظر حتى تحرك الأوتوبيس
ثم عبر شارع سليم إلى الرصيف الآخر . . ودلف فى أحد

الشوارع المتفرعة التي تؤدي إلى السكة الحديد حتى وصل
إلى مزلقان الزيتون ثم عبره إلى الناحية الأخرى .
وكان أمامه ما يقرب من خمس دقائق ، فقد كان البيت كائناً
في طرف الضاحية . . لا يفصله عن المزارع الممتدة شيء .
لقد كان البيت مثالياً من الناحية الصحية والناحية المالية
فهو خلوى إلى أبعد حدود الخلاء . رخيص إلى أبعد حدود
الرخص . . ولكنه مع ذلك لا يعدم السيئات . . فهذا
الإفراط في الخلاء يسبب ليومي أفندي كثيراً من المخاوف
والمتاب . . وهو لا يجسر إلا في القليل النادر ، وتحت
الظروف الطارئة أن يعود إليه في ساعة متأخرة من الليل .
لأنه يخشى عواء الذئاب والظلمة والوحشة وفرط السكون
ويتوهم في حلكة الليل أشباحاً واصوصاً تجوس في المزارع
وفي الطرق المعتمة . . ولا يجسر أيضاً مهما اشتد الحر في
ليالي الصيف أن ينام والنوافذ مفتوحة . . فهو يخاف أن
يهبط إليه اللصوص .

وأخذ بيومي يقترب من الدار وقد شملته ظلمة حالكة
وهبت عليه من المزارع ريح رطبة باردة أصابته بقشعريرة
في جسده . وأسرع الخطى مهرولاً تجاه البيت ، وقد أصابه
وهم بأن هناك من يطارده .

وأخيراً وصل إلى البيت ، ودلف من الباب الخارجى ،
ووقف برهة فى ، بير السلم ، وقد تكاثفت فيه الظلمة حتى لم
يعد يرى أبعد من أنفه .

وبدأ يتحسس طريقه صاعداً الدرج بالتوجيه وبحكم
العادة ومر بالطابق الأسفل فلم يلبح من بابه بصيص ضوء .
ويحه . . . إن البيت قد خلا الليلة إلا منه . . . فقد تذكر
فى تلك اللحظة أن جاره الذى يقطن فى الطابق الأسفل
مسافر هو الآخر فى مأمورية منذ بضعة أيام . . . وسرى
الخوف فى نفسه . . . فقد كانت المرة الأولى التى يبيت فيها
وحيداً فى البيت . . . لقد كان عطوه — لعنة الله عليه —
يؤنس وحشته ، ويبعث فى نفسه كثيراً من الطمأنينة .

وانتهى من صعود الدرج . . . وأخرج المفتاح من جيبه
ووقف أمام باب شقته ليتحسس فتحة المفتاح ، ودفعه فيها
وأداره دورتين . . . ثم دلف إلى الداخل . . . ومد يده فى
الظلمة حتى استقرت على مفتاح الكهرباء ثم ضغط عليه .
ولكن الكهرباء لم تضىء . . . لقد كان بها خلل .

يا للنحس ! يا لليلة السوداء ! حتى النور !
ودفع بيومى يده فى جيبه فأخرج علبة الثقاب . . . إنه
يذكر أن فى أحد أدراج البوفيه شمعة صغيرة يستطيع أن

يشعلها ويستعين بها على تبديد تلك الظلمة المروعة ، وأشعل
الثقاب فأحدث حوله دائرة من الضوء كشفت عن الأشياء
المحيطة . . وكان أول ما وقع عليه بصر بيومي افندى هو
سكين كبير . . مشحوذ الحد . . مدبب الطرف . . وتذكر
الرجل القليل . . وتذكر عنقه المعلق على بضعة عروق . .
ودمائه المتجمدة حوله . . وندت عنه صرخة مكتومة . .
وأحس كأنه يوشك أن يخر مغشياً عليه .

يا للجبان الرعيد !! ماذا أصابه ! هذا سكين المطبخ
قد نسيه عطوه على المنضدة ! ماذا روعه منه ! ؟
الكلب عطوه !! والله ليرينه عاقبة إهماله عندما يعود ،
لقد أمره بأن لا يترك الملاعق والسكاكين مبعثرة على
المنضدة بل يضعها في دولاب المطبخ ، ومع ذلك لا فائدة
من نصحه فهو لا يلتفت إلا للسخرة .

وسار بيومي متمهلاً على ضوء الثقاب ، ولكنه توقف
في مكانه مرة أخرى . . لقد وجد الدولاب القديم
الموضوع في ركن الصالة مفتوحاً . . وبداله كأن هناك
شبحاً يكش داخل الدولاب .

وأحس بخوف شديد . . ما الذي فتح الدولاب ؟ من
يكون هذا الذي يتحضر داخله ؟ ! لص ولا شك !



ولكنه تذكر أن الدولاب دائماً يفتح من تلقاء نفسه
لأنه ليس به قفل ، ولأن ضلفته يميل ثقلها إلى الخارج فهي
لا تستقر إلا مفتوحة . . أما الشبح الأسود فليس سوى
صرة الملابس القديمة البالية يحفظها عطوه لكي يمزقها ويصنع
منها سجادة .

وتمالكك الرجل نفسه حتى وصل إلى البوفيه . . وفتح
الدرج وهو يرتجف وقد تلاحقت أنفاسه حتى لم يعد يسمع
في السكون الشامل سواها وانطفأ الثقاب ، وسادت الظلمة
برهة ولكن سرعان ما بددها ضوء الشمعة .
ووقف بيومي ممسكا بالشمعة ، وأحس بأمعائه تنقبض
وتتولى . . إنه الجوع !

لا . . لا . . ليس هذا وقت أكل . . إنه لا يجسر على
الذهاب إلى المطبخ . . خير له أن يسرع فينكمش في فراشه
وإلا مات رعباً .

ولمح الدولاب القديم على ضوء الشمعة . . فسرت في
جسده القشعريرة مرة أخرى ، وأسرع فدفع الضلفة بيده
وأغلقها جيداً ، ثم سحب مقعداً فأسنده إلى جوارها حتى
لا تفتح مرة أخرى فهو لا يطيق النظر إلى الشبح الأسود
الذي تظهره صرة الملابس .

كل هذا من عطوه ؟ ! أية سجادة تلك التي يريد الغبي صنعها من الملابس القديمة ؟ والله ليقدفها من النافذة بمجرد شروق الشمس .

واطمأن بيومي إلى غلق الدولاب الخفيف ثم اتجه إلى غرفة نومه ممسكاً بالشمعة في يد وبالحقيبة في اليد الأخرى . ووضع الشمعة على منضدة صغيرة في حجرة النوم . ثم أسرع بخلع ملابسه بسرعة البرق ولم تمض بضعة ثوان حتى كان قد أطفأ الشمعة وانطوى في فراشه مخفياً رأسه تحت الوسادة وقد أخذت أسنانه تصطك وأطرافه ترتعش . وبدأ يطمئن نفسه بعد أن استقر في الفراش قائلاً لنفسه إنه ليس هناك ما يستدعي منه كل ذلك الخوف والرعب ، وأن الدار هي هي التي يبيت فيها كل ليلة .

وبدأت أعصابه تهدأ ، وجفونه تتأقل عند ما سمع فجأة صوتاً جعله يرهف السمع ، وجعل أعصابه تتوتر من جديد .
أيمكن أن يكون هذا صحيحاً ؟

لقد سمع صوت الدولاب يفتح ، ولم تكن الضلفة في هذه المرة تفتح من تلقاء نفسها بل بفعل فاعل . . لأنه سمع صوت المقعد الذي يسندها وهو يدفع عنها .
إذن لم تكن هي الصرة بل كان شبحاً رابضاً .

لا . . لا . . إن ما سمعه ليس سوى من فعل الأوهام .
على أية حال خير له أن يغلق باب الحجرة عليه بالمفتاح
زيادة في الحرص والاطمئنان .

ونفض الرجل متسللاً في الظلمة المعتمة على أطراف
أصابعه وأغلق الباب وأدار المفتاح فيه دورتين ، وهمّ
بالعودة إلى الفراش .. عند ما أحس بوقع خطوات تقترب
من خارج الباب . . ثم أبصر بأكرة الباب تتحرك ببطء .
وأحس كأنه يوشك أن يتهاوى على الأرض .

هذه المرة لم يعد هناك شك لأن الأكرة تتحرك أمام
ناظره والباب يهتز .

ووضح له الأمر في سرعة البرق . . وأدرك لم كان
السكين موضوعاً على المنضدة !

وتذكر القتل .. والسكين الذي حز عنقه .
أيمكن أن تتكرر المأساة . . وتختتم حياته بمثل هذه
الحاتمة التعسة ؟

لا . . لا . . يجب أن يتمالك وينفض عنه ذلك الرعب .
يجب أن يشجو بنفسه .

ونظر حوله كفأر حبس . . وتخيل اللص وهو يدفع

الباب وقد أمسك السكين في يده وهجم عليه فجز رقبته من
الأذن إلى الأذن .

ولم يكن أمامه وسيلة للنجاة سوى النافذة .
وأحس بالباب يهتز . . وخشى لو طال الانتظار أن
يتهاوى الباب أمام قوة الرجل . فأسرع في لمح البصر وفتح النافذة
فهبت منها ريح صرصر عاتية . . ولكنه لم يشعر بأية برودة
لأنه فقد في ذلك الوقت كل إحساس إلا بالخوف المميت .
ووقف بيومى على حرف النافذة كريشة في مهب الريح
وتذكر أن هناك كورنيشاً يحلى واجهة الدار ويمر من أعلا
النوافذ وأسفلها وتبين أن هذا الكورنيش يمكن أن يهيء
له وسيلة للنجاة لو استطاع أن يسير على الحافة السفلى ممسكا
بيده الحافة العليا .

ولم يستغرق منه التفكير في ذلك سوى ثوان معدودات
وبدأ ينفذ مشروع النجاة . . وأخذ يتحرك بخطوات جانبية
بطيئة على حافة الكورنيش السفلى . . وقد تعلق يديه في
الكورنيش العلوى . . وأخذت الريح الباردة تضرب ظهره
وبدا كأنما هو عنكبوت معلق في حائط الدار .
على أية حال . . إن هذا خير من أن ينتظر حتى يحجز
الرجل رقبته بالسكين .

وفجأة أحس أن الكورنيش قد انتهى ، وأنه لم يعد هناك ما يستطيع أن يستند إليه فيما لو حاول السير ، وأيقن أنه قد وصل إلى النافذة المجاورة لنافذته ، وأن كل ما ساره لا يعدو أن يكون بضع خطوات . . ثم تذكر أن النافذة لا بد أن تكون النافذة المطلة على بحر السلم . . ووجد أن خير طريقة للنجاة هي أن يهبط من النافذة إلى الداخل ، ثم يتخذ طريقه على السلم إلى خارج الدار .

وهبط بيومي في سكون من النافذة فاستقر على بسطة السلم . . وهمّ بالاندفاع إلى أسفل عند ما وجد باب شقته يفتح من الداخل . . وأبصر بضوء خافت كضوء الثقاب يشع من خلال الباب ، ثم وقع بصره على السكين . وتسمر بيومي في مكانه ، والتصق بالحائط .

ماذا يفعل ؟ أيعود إلى النافذة ؟ أم يندفع إلى أسفل ؟ إن الرجل سيتبعه في كلتي الحالتين وسيحاول اللحاق به ، وهو لا شك أخف منه حركة ، ويستطيع أن يمسك به . ومضت فترة وهو لا يقوى على الحراك ، وأحس أن أعصابه توشك أن تنفخ . . وأنه على وشك أن ينخر مغشياً عليه .

وبدا اللص من الباب وقد شهر يده سكين المطبخ . .

وباليد الأخرى أمسك عود ثقاب .
ونظر إليه بيومي افندى وصرخ بكل قواه :
— عطوه !!

أجل لقد كان عطوه بعينه ودمه ولحمه . . لقد طردته
أم نفيسه ، فاضطر إلى أن يقضى أجازته في الدار ، واستيقظ
على صوت حركة في الشقة وأحس بإنسان في حجرة بيومي
افندى يحاول أن يغلق الباب من الداخل ، فتأكد أنه لص
وأنه يوشك أن يفر من النافذة ، فهبط ليلتقاه في الحديقة .
ونظر عطوه في ذهول إلى بيومي افندى وهو يقف
على البسطة مرتدياً الجلباب وصاح به :

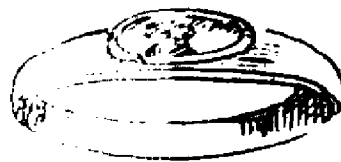
— بيومي افندى ؟ !
وأجابه بيومي افندى في ذلة ومسكنة :
— إلحقني يا عطوه . . دمي نشف .
ولأول مرة . . سمح بيومي افندى لنفسه أن يخرّ
مغشياً عليه .



عيد الجادر عيد الدليل

وبدأت الفتاة تنطق على خدماتها وعظمتها ،
وتنظف الحجرة وتزيتها وتسكع بها ما شاء لها
التسكع .

وأحسست من فمالها هذه ، ومن تصرفاتها
وتسكعها أني يجب أن أفعل شيئاً ، وألا أضمن في
جمودي وحياتي وأبي فأكون عند قولها « حمار
من الشرق »



هو صديق صبا وزميل طفولة . . . وقد كان - أعني
هذا الحمار من الشرق - حماراً منذ عرفته . . .
ولكنه كان وقتذاك حماراً من دِ قبلي ، . . . أى حمار محلي ،
ولم يكن قد اتخذ بعد هذه الصفة العامة العالمية .

اسمه محمد . . . بكسر الحاء والميم . . . ولقبه عبد الجادر
عبد الدليل . . . أى عبد القادر عبد الجليل . . . (بقلب القاف
الأولى جيماً والجيم الثانية دالاً . . . للثقل والتعذر . . . أعني
ثقلها على لسانه وتعذر نطقها عليه) وشهرته ، محمد الفوتبول ،
وبلده فاو الرئيسية مركز نجع حمادى .

أما عن شهرته بالفوتبول . . . فمرجعها إلى أنه كان التلميذ
الموحد فى سنة رابعة ثانى بمدرسة محمد على الابتدائية الذى
كان يملك جزمة فوتبول .

ولم يكن محمد الفوتبول . . . بلاعب ماهر للفوتبول . . .
حتى تملأ شهرته بهذا الاسم الآفاق . . . بل إنه كان يرتدى
هذا الحذاء فى كل وقت . . . عدا أوقات لعب الفوتبول .
أما عن ارتدائه إياه فى كل وقت . . . فقد كان أمراً
طبيعياً ، لأنه لم يكن يملك غيره .
ولست أشك فى أن ستة الأزواج من الاستدز . . .

التي يرتفع عليها نعل هذا الحذاء كانت سبب ابتلاء صاحبنا به
فقد كانت هي التي أغرت أباه الشيخ عبد القادر بشرائه له .
ولكن العجيب .. هو خلعه ساعة اللعب .. أى في عز
المعركة .

ذلك كان أمراً عجيباً . ولكن - كما يقول المثل -
إذا عرف السبب بطل العجب ، ولم يكن للأمر العجب سبب
واحد بل كان هناك مائة سبب .

السبب الأول : هو أن أباه قد أوصاه بالخذاء خيراً .
والسبب الثاني : هو أن محمداً نفسه .. كان يخشى على
نفسه من الكعبة والزحقة ، إذا هو غامر باللعب به .
والسبب الثالث : هو أنه كان يعتقد - وهو على حق -
أن قدمه كانت أشد صلابة من الحذاء .

والسبب الرابع : وهو أهمها جميعاً .. هو أن الحذاء
لا يكون موجوداً معه خلال اللعب .. بل يكون مؤجراً
لأحد اللاعبين .

وقد يبدو إيجار صاحبنا لحذائه أمراً غريباً ، وقد يظنه
القراء من باب المبالغة والتشنيع ، ولكنى أؤكد لهم أنه كان
وقتذاك أمراً طبيعياً جداً .

كان حذاء محمد من نوع الكنج الأبيض ، حذاء فاخراً

معتبراً ، وكان يجعل صاحبه محسوداً منا . . فقد كان الحذاء
الفوتبول أقصى أمانينا وقتذاك . . فقد كنا من غواة اللعبة
ولكننا لم نكن نجيدها إلى الحد الذى يحشرنا فى زمرة تيم
المدرسة المتمتع بلبس أحذية الكرة ، والذى كنا ننظر
إليهم نظرة المحسودين أنصاف الآلهة .

وكان محمد هو الوحيد من بين العبيد الذى يمتلك الحذاء
السحرى . . حقيقة أنه لم يكن يمتلك غيره ، ولكن ذلك
لم يكن يحط من قيمته لدينا . . بل كنا نتمنى كنا أن
نكون مثله ، وأن يستبدل آباؤنا تلك الأحذية الرقيقة
بأحذية فوتبول ضخمة ، وما حاجتنا إلى الأحذية الرقيقة ،
وقد كانت لاتستغل إلا فى لعب الكرة وشوط الزلط
والطوب .

ولقد بدأت عملية الإيجار بأن سأل أحدنا محمد المحسود
أن يعيره الحذاء ذات مرة ، فرفض وأنبأه بأن أباه حذره
من أن يخذشه أو يتلفه ، وهكذا قطع علينا محمد كل أمل
فى استعارة الحذاء ، وبقينا ننظر إليه فى حسرة ولهفة حتى
احتاج محمد ذات مرة إلى اقتراض قرش من أحدنا ،
وهنا بدت الفرصة سانحة ، وصمم صاحبنا على استغلالها
فقال :

— إسمع يا محمد . . أنا مستعد أديك القرش ، ومش
حاحده منك . . بس بشرط .

— إيه ؟ -

— تسلفنى جزمتك ألعب بيها شويه .

— لا يا عم حد الله بينى وبينك .

— يا أخى متبقاش حمار .

— جلت لج . . يفتح الله .

— يعنى مش أحسن مانت قالعها وراكنها وبتلعب

حافى . . أنا مستعد كان اديك جزمتى تلعب بيها . . .

مبسوط يا عم ؟

وأخذ محمد يشاور عقله ، وبعد برهة قبل العرض .

وهكذا بدأ الإيجار ، وراج سوق الجزمة رواجاً

شديداً إلى الحد الذى أصبحنا معه مضطرين إلى حجزها

قبل موعد الإيجار بيضعة أيام . . . من فرط إقبال

اللاعبين عليها .

وكانت نصيحة محمد التقليدية التى يسوقها إلينا قبل تسليم

الحذاء :

— حاسب عليها . . ماتشوطش جوى . . إوعى

تجرى بيها .

وهكذا كان محمد يفترض دائماً في مستأجر الخداء . .
استجاره لمجرد التنزه وهذا هو ما كان يهون عليه الأمر .
ولقد استنفد محمد وقتذاك بحذائه معظم مصروفاتنا حتى
اضطررنا في نهاية الأمر إلى التشارك في استجاره . . فكنا
نستأجره اثنين اثنين . . كل واحد يستعمل فردة . . على
أن تبادلهما في الهاف تيم . . فيتاح لكل منا فرصة لبس
الفردة اليمين . . وهي الأهم . . في نصف الوقت .

وهكذا كان محمد عبد الجادر عبد الدليل تليذاً . .
وصاحب ملك . . يؤجره وقتما شاء ، وحيثما شاء .
تلك كانت أولى مزايا محمد ، وهي الخداء القوتبول . .
أما الميزة الثانية ، فهي أنه كان . . حاراً ، إن صح أن هذه
يمكن أن تسمى ميزة .

كان حاراً غشياً . . طيباً . . خفيف الدم ، ولقد ظل
هكذا في كل سني دراسته ، وفي كل أطوار حياته ، وظللنا
ننتقل سويّاً من سنة إلى سنة ومن طور إلى آخر وهو
نفس الحمار

ولقد عدّا بنا الزمن ، حتى انتهت دراستنا . . فضربت
بيننا الفرقة ، وبقيت في عمل بالقاهرة ، وقذف به حظه
السعيد إلى بعثة دراسية طويلة في إنجلترا .

ووقفت أودعه وأوصيه بنفسه خيراً من بنات التاميز
فإذا هو يضحك ضحكته العالية المجلجلة ويقول :

— ماتخافش (بكسر الفاء) .. دانا محمد ولد عبد الجادر
من فاو جبلى ! .

وافترقنا يومذاك ، وطالت به الغربة وامتدت الفرقة .
حتى التقينا أخيراً بعد فراق خمس سنوات .

ووقفت أخضه من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل
فوجدته هو هو .. لم يعد عليه الزمن ، ولا بدل به شيئاً .
محمد ولد الشيخ عبد الجادر عبد الدليل ، من فاو الرئيسة
مركز نجع حمادى .. نفس الحمار اللطيف خفيف الدم .
وإن كان الجو والمكان الذى التقينا به يجزم لى بأنه
لم يعد حماراً غشياً .

كان لقاؤنا فى مكان ما .. فى ليلة حمراء ، ولم يكن
يخطر لى ببال أن صاحبنا محمد يمكن أن يرتاد مثل هذا
المكان ما ، فقد كان دائماً مخلوقاً خاماً .. خجولاً ، هيباً .
قصدت « المكان ما » وصاحب لى ، وكانت قد مضت
علينا مدة لم نرتده ولم نقض سهرتنا به وطرقنا الباب فمضت
برهة قبل أن يفتح لنا ، وأخيراً فتح الخادم لنا وسألنا
التفضل .

وترددت برهة إذ لم يجد في الدار أثراً لصوت
أو حركة . . بل بدت خالية تماماً وسألت الخادمة في دهشة :
— أين . . الجماعه ؟

— تفضلاً . . إنهم بالداخل . . مشغولين مع أحد
الأصدقاء .

ودخلنا إلى حجرة الجلوس ، ففوجئنا بمنظر أذهلنا
إذ وجدنا صاحبنا محمد عبد الجادر . . الغشيم ، التقى المصلى .
قد تربع على الأرض ومن حوله التفت الثلة بأكملها وقد
انهمكوا جميعاً في الضحك والمزاح .
ولم أكد أراه حتى صحت به :

— محمد . . يخرب بيتك . . إيه اللي جابك هنا ؟ ! دانا
فاكرك لسه في انجلترا !

ونهمض محمد وأخذني بالحضن وهويقهقه قهقهته العالية .
وعدت أقول له :

— إيه اللي جابك هنا . . دانا ما عنديش أى فكره
إنك في مصر .

— لازم ما بتجراش الاجتماعيات في الاهرام . . اللي
فيها أخبار الناس الأكابر .

— وانت بقيت من الأكابر ؟

— أَمال .

— جيت ميتا .

— أدبلى شهر .

— شهر وانت فى مصر وانا ماعرفش ، وبعد كده
أقابلك فىن . . فى آخر حته يخطر على بالى إنى أشوفك فيها .
— ليه بجا ؟

— انت مش فاكر لما كنا نتحايل عليك تيجى معانا
هنا ، فكنت تطاطى من الكسوف وتقول « استغفر الله
العظيم ، .

— كان زمان ودبر . . حد واخذ منها حاده .
— والله زمان يا محمد يا ولد عبد الجادر ، وبتيجى
هنا دائماً ؟

وأجابنى بكلمته الشهيرة :

— كثير . . (بفتح الكاف) .

— يعنى بقيت صاحب بيت .

— وأبوها .

— يعنى مالناش هنا عيش معاك .

— ماخلاص بقى راحت عليكم .
والله خسروك بنات التلويز . . بعدما كنت خام ،



بس فالح تقوللى ، ماتخافش .. دانا محمد ولد عبد الجادر من
فاو جبلى .. فاكر .

— فاكر .. فاكر جوى .. ماهى دى اللى جابت لى
الكافيه .

— إزاي ؟

وبدا محمد ولد عبد الجادر من فاو جبلى يقص على
« إزاي ، وىروى مغامراته مع بنات التاميز ، قال :

— وصلت إلى مانشيستر بعد رحلة طويلة بالبحر وبالقطار
قضيت معظمها راقداً فى الفراش أشبه بالقتيل ، وحدث
عن اللخمة واللبخة التى أصابتنى ولا حرج .. لقد ظلمت
ما يقرب من شهر وأنا أشبه بالفأر الحائر فى مصيدة
أو باليهودى التائه الضال .. حتى استقر بى المقام أخيراً
بين عائلة انجليزية مكونة من أرملة وابنتها .

وكانت السيدة فى مقتبل العمر لا تكاد تتجاوز الأربعين
على قسط كبير من ملاحه غير حائلة بل ظاهرة واضحة
فى تقاطيع وجهها وفى استواء جسدها ، أما الابنة فكانت
فتاة لا تتجاوز العشرين بها شبه كبير من أمها مع فارق
فى النضارة والصبا .

وكانت العائلة خلواً من الرجال .. أى أنى كنت

الرجل الوحيد المقيم بينهما ، وأقول لك الحق أننى كنت شديد التهيب مفرط الخجل فما تعودت — أنا الخام الغشيم الصعدي المحافظ — أن أقيم وسط نساء غريبات ، ولذا فقد كنت أتسلل إلى البيت كالفأر . . لا يكاد واحد يشعر بوجودى . . أو مجيئى وترحالى ، وما أذكر مرة أنى حاولت أن أرفع بصرى إلى إحداهما . . . بل كانت تكاد تسبقني إليهما كلمة « ياساتر » التى تعودنا فى مصر أن نسبق به مقدما على النساء .

كنت شديد الانطواء . . فقد كنت أجد فى انطوائى خير مهرب لى مما يمكن أن أقع فيه من زلل مقصود أو غير مقصود ، وكنت أشبه فى الدار بعابر سبيل لا آوى إليه إلا فى بهمة الليل . . حيث أدق الجرس فى هبة وخشية فإذا ما فتحت لى إحداهما أطرقت برأسى وتمتمت بضع كلمات على سبيل الاعتذار . . ثم أتسلل إلى حجرتى بلا حسر ولا حركة .

فإذا ما ضمتنى الغرفة أغلقت الباب شاعراً من وحدتى بشئ من الأمان ، وكانت الحجرة بسيطة لا تحتوى إلا على فراش ودولاب اللباس ومنضدة عليها مرآة ، ومقعدين قديمين . . .

وكان أكثر ما أقاسيه في حجري المنعزلة . . هو البرد
والحنين إلى الوطن . . كان البرد قاسياً إلى حد لم تجد معه
أغطية ولا بطاطين حتى اضطررت إلى رفع سجادة قديمة
من الأرض ووضعها فوق الأغطية التي أغطي بها فلما لم تجد
نفعاً لجأت إلى كل ما أملك من ملابس فنقلتها من الدولاب
ورصبتها فوق الواحد بعد الآخر حتى انتهى بي الأمر
إلى أنى لا أنام إلا وفوقى كوم هرمى من الملابس يكاد
يصل إلى عنان السقف .

ولست أشك أنى كنت مستمراً فى النوم على هذه
الطريقة طوال مدة البعثة ، ويعلم الله ماذا كان يمكن أن
يصبح عليه جسدى بعد مر السنين عليه وهو تحت هذه
الاثقال ، ولكن أغلب ظنى أنه كان سيطرق ويرق ويصبح
جسداً رقيقاً منبسطاً .

أقول إنى كنت سأستمر على هذا النوم حتى حدث
ما كشف أمرى فجأة . . فقد تأخرت فى النوم ذات ليلة
عقب سهرة مع أحد الأصدقاء فى يوم عطلة ، وبينما أنا ملقى
فى فراشى تحت كوم الملابس وأنا أفتح عيني فى كسل وتراخ
إذ سمعت طرقاتاً على الباب ، وقبل أن أتمكن من النهوض
وإخفاء معالم المنظر العجيب فتح الباب ورأيت الإبنة واقفة به

وقد استقر بصرها على كوم الأغطية والسجادة والملابس
طبقات فوق طبقات .. ثم دارت ببصرها في أنحاء الحجرة
محاولة البحث عنى إذ لا شك أنه لم يخطر لها ببال أنى أرقد
تحت هذا الكوم المرتفع .

ولم أحرك أنا ساكناً فقد خجلت من أن تكشف
وجودى على هذا الحال وتمنيت أن تغلق الباب وتنصرف ،
ولكن الشقية لم تذهب بل خطت إلى الأمام خطوة جعلتها
فى داخل الحجرة وأخذت تعيد البحث فى مزيد من التأنى
والدقة ، وأخيراً صاحت منادية :

— هاى .. مستر محمد .

وهنا لم يكن هناك بد من الإجابة فصحت من أسفل
الكوم :

— هالو .. مس مارى .

وتهللت الفتاة ، وعادت تنادىنى بأعلى صوت :

— هالو .. أين أنت ؟

— أنا هنا .. فوق الفراش ، وتحت الأغطية .

وانحنى الفتاة ناظرة إلىّ فى ذهول صائحة :

— وماذا وضعك هنا ؟

— أنا .

- لماذا؟
- لأنام .
- ومن الذى وضع هذا فوقك؟
- أنا أيضاً .
- لماذا؟
- لأقاوم البرد .
- واندفعت الفتاة تقهقه . . ثم قالت أخيراً :
- إذا كنت ستداوم على هذا . . فقد تموت يوماً
مختنقاً . . .
- وإذا لم أداوم عليه . . فسأموت قطعاً من البرد .
- ولكن لماذا لا تستعمل المدفأة؟
- أية مدفأة؟
- هذه المدفأة الغازية الموجودة أسفل المنضدة .
- عجباً !! أوجد مدفأة أسفل المنضدة؟
- بالطبع .
- لعنة الله على . . . إني لم أكتشف وجودها . .
- ولو اكتشفت وجودها لما عرفت كيف تستعمل .
- ولماذا لم تسأل يامستر محمد؟
- خشيت أن أزعجكم !

— إن هذا لا يزعجنا . . إننا مفروض علينا أن نهيء لك الراحة .

وكانت هذه المناقشة تدور بيننا بسرعة وأنا ما زلت في مضجعى تحت هرم الملابس وأخيراً قالت الفتاة :
— أأستطيع النهوض ؟

— بالطبع . ولكن أرجوك أن تبتعدى حتى لا تقع عليك الملابس .

وكان الأمر يحتاج إلى بعض الجهد فانكمشت ضاماً ركبتي إلى صدرى ثم فردتهما بشدة فارتفع الكوم ثم مال على جانبه منهاراً إلى الأرض .
وصاحت الفتاة معجبة :

— برافو !

وأردفت وهى تتجه إلى الباب :

— سأذهب لكى أحضر لك فنجاناً من الشاي وأعلك استعمال المدفأة .

وبعد لحظات عادت الفتاة إلى الشاي وجلست تعلمنى استعمال المدفأة التى لم يخطر لى على بال أنها موجودة .

وهكذا بدأ أول حديث لى مع الفتاة . . لقد اندوت هى تعرض خدماتها ، ولكنى كنت ما زلت مغرقاً فى أدبى

وتحفظى .. أحدثها دون أن أجسر على النظر إليها بل
أخفض بصرى ، كما تعودت أن أفعل دائماً عندما
أكون فى حضرة حريم غريبات ...
وكنت أفضل أن أستمّر على شهامتى الصعيدية
والأأستغل رقة الفتاة ولطفها ، وأن أريها أنى رجل رزين
وقور .

لقد زادت ساعات وجودى فى الدار بناء على دعوتهما
من أن لآخر للشاى أو للطعام ، ولكن كنت طوال تلك
الساعات محتشما .

وكنت إذا ما جمعى وإياهما مجلس أسبلت عيني وطاقأت
رأسى فى حياء وخشية وأدب .

واستمّر هذا شأنى ، حتى فوجئت بالفتاة تسألنى :

— ماذا بك يا مستر محمد ؟

ودهشت وهزرت رأسى متسائلا :

— من حيث ؟

— عينيك .. هل بهما شىء ؟

— لا .. أبداً .

— إذا لم لا تنظر إلىّ بهما ؟ هل بى شىء لا يعجبك ؟

— حاشا لله .. وأستغفر الله ، إن بك كل شىء حسن .

— إذا فما السبب في أنك لا تنظر إلى ؟

— أدب .. لا أقل ولا أكثر .

— أدب ؟ !

واندفعت مقهقهة ثم أردفت :

— إنها قلة أدب .. من قال لك إن من الأدب ألا

تنظر إلى فتاة أمامك ؟ ألسنت جميلة ؟ ألا أستحق النظر ؟

— بل تستحقين كل النظر .. إني جد آسف .. لقد

تعودنا أن نفعل هذا مع النساء في بلادنا .. اعذريني ، فأنا

مؤدب من الشرق .

— إنك حمار من الشرق ، أرجوك أن تكف عن

هذا الأدب .

ومن يومها بدأت أكف عن أدب النظر .. بالنسبة

إلى الفتاة .

وبدأت الفتاة تغدق على خدماتها وعطفها ، وتنظف

الحجرة وترتبها وتتسكع بها ما شاء لها التسكع .

وأحسست من أفعالها هذه ، ومن تصرفها وتسكعها أني

يجب أن أفعل شيئاً ، وألا أمعن في جمودي وحيائي وأدبي

فأكون عند قولها « حمار من الشرق » .

أجل ! كان يجب أن أفعل « شيئاً » ، ولكن ما هو هذا

الشيء الذى يستطيع مثلى أن يفعله ؟
ماذا أقول لها ؟! إن المسألة تحتاج أولاً إلى أن أكتب
ما سوف أقول باللغة العربية ، ثم أترجمه إلى الإنجليزية . .
ثم أحفظه عن ظهر قلب ، وألقيه عليها كالمحفوظات .
وبعد كل هذا التعب ، أكون مضحكا ، وحماراً أيضاً ؟
إذن فيجب أن أفعل شيئاً .
أقبلها مثلاً ؟

لمَ لا ؟ لأجرب معها . . وأرى ما سوف يكون .
وفعلاً ، ظللت أترقب الفرصه حتى سنحت ، وفى خلوة
لنا فى حجرتى ، وجدتها تنحنى لترتب الفراش . . فددت
بوزى ، ولهفت قبلة ، ووقفت أنتظر النتيجة
ووجدتها تهز رأسها فى أسف ، وتقول ببساطة
— إن الرجل الإنجليزى لا يفعل هذا .
وأحسست من قولها بلطمة شديدة . . وإهانة بالغة
وتأنيباً مرأ .

ولم يكن أمامى سوى الانسحاب ، والندم والتباعد ،
فانسحبت وندمت وتباعدت .
ومرت الأيام والليالى ، وأنا منطو على نفسى عائد إلى
سابق حياتى .

حتى كان ذات مساء وأنا عائد إلى حجرتي ، عابراً الممر
ذو الضوء الخافت ماراً بحجرتها في صمت وسكون أن
أحسست يدها تمتد من باب حجرتها ثم تمسك بي من قفائي
وتجرني إلى داخل حجرتها .

ووقفت أمامها وجهاً لوجه ، وهي بقميص النوم . .
ورأيتها تحملق في وجهي غصبي ثائرة ، وتهمس ناهرة :

— ما بالك أيها الحمار العنيد ؟

وعادت تسأل بانفعال :

— ماذا فعلت لك حتى تمن في إعراضك الغبي ؟

— ألم تقولي لي عند ما قبلتك . . أن الرجل الانجليزي

لا يفعل هذا ؟

— أجل ! إنه حقاً لا يفعل هذا . . ولكني لم أقل لك

إنني أحب ما يفعل الرجل الانجليزي .

وتصالحنا . . وفعلت بها ما لا يفعل الرجل الانجليزي ،

وما لا تكرهه هي .

ومرت الأيام ، والعلاقات تزداد وثوقاً وتوطداً حتى

أصبحت الفتاة تفرض لنفسها على حقوقاً ، وتغار على من

الهواء ، ولا تكاد تتركني أخرج وحدي .

وفي كل هذه المعمة ، كانت أمها تقف على الحياد .

وبدأت أحس من الأمر بخطورة ، فقد باتت الفتاة
تعتبرني خطيئها .

وتصورت ما يمكن أن يحدث لفاو جبلى . . وللشيخ
عبد الجادر عبد الدليل أبى ، ولست عيوشه أمى ، لو حدث
— لا قدر الله — أن تخرج الأمر ولم أستطع منه فكاكا ،
وعدت إليهم وفي يدي ، سنيورة ، من بلاد برّته .

ولم يكن هناك علاج للمسألة أحسم من أن أسافر إلى
مصر في إحدى العطلات الصيفية ثم أعود لابساً خاتم خطبة
زاعماً أنى قد خطبت حتى أقطع عليها كل تفكير في خطبة
أو زواج .

وفعلاً ذهبت وعدت وفي أصبعي خاتم الأمان .
ولم يخطر ببالى أن الخاتم سيكون له هذا الوقع المروع
فقد ثارت الفتاة ، وتشنجت ، وبكت . . وظلت بضعة ليال
ساهرة لا تهدأ ولا تنام .

كل هذا وأمها على الحياء لم تنبس بكلمة تأنيب ولا لوم .
حتى دخلت على ذات ليلة ، وأنا أوشك أن آوى إلى
الفراش .

وبدأت أجمع في ذهني مستندات الدفاع . . ردأ على
ما توشك أن تنزله بي من لوم وتأنيب ، وما توشك أن

تصفني به من سفالة . ولؤوم . وانحطاط . . لتغري بابتها
وخداعى لها .

ووقفت أمام الفراش أرتجف خجلاً واضطراباً .
وأخذت الأم تقترب منى فى صمت ، وكلما زاد اقترابها
وصمتها زادت خشيتى .

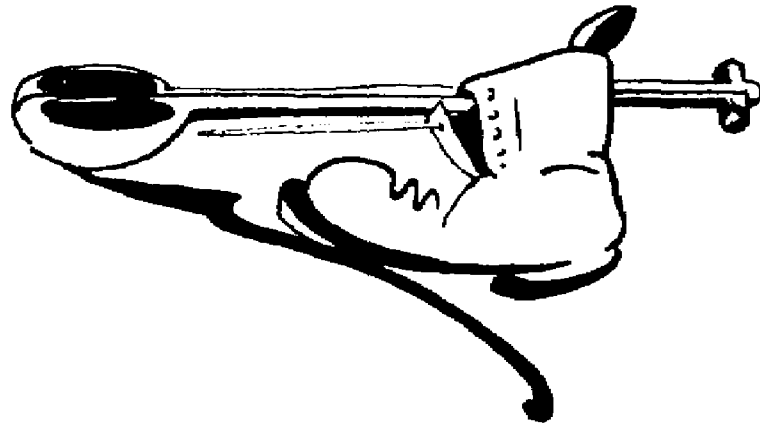
حتى وقفت بجوارى أمام الفراش ورفعت يديها . .
لا لتضربنى ، بل لتطمئنى ، وتستلقى على الفراش ، وتهمس
إلىّ فى استدعاء واسترخاء :

— أطفئ النور . . وتعال ، هيا ، أيها الحمار من الشرق .
ومنذ تلك الليلة . . أصبحت الأم تشاركنى الفراش . .
وهى قريرة راضية ، مقتنعة بأن ليس فى عملها أية خيانة
لابنتها ، بعد أن أصبحت خاطباً وفقدت كل أمل فى .
ولقد عرفت فى النهاية انى كنت حقاً حمار من الشرق
لأنه كان علىّ أن أبدأ بالأم ، المجربة ، من أول الأمر .



عبد ربه الصرماني

يا عبد ربه يا صرماني . . يا من لم تنجب
الحياة أغني ولا أحق منك . . يا من تفرق في
شهر ماء . . قاتلك الله من حار أبيه . .
فيم كل هذا التفكير وهذا الحزن ؟ . ان
النقود لا قيمة لها إلا إذا كانت وسيلة لجلب
السعادة وطرد الشقاء . . أما إذا جلبت لنا
الهم فلتذهب مع الشيطان !



لم يكن عبد ربه مجرد صرمانى ؟ بل كان موسيقياً
فناناً . . . وكانت له فى بلدته شهرة واسعة . .
فما خلا منه بجمع أنس أو حفل طرب . . وما مرت به ليلة
إلا وقد تكاثر حوله القوم فى مقهى البلدة يرجونه أن
ينشدهم بعض المواويل على ربابته .
ولم يكن الرجل فى حاجة إلى رجاء . . فقد كان
لا يستطيع أن يجلس صامتاً . . أو يسير وحيداً لا تصاحبه
الربابة .

وكان بين ربابته وامراته عداوة شديدة وخصام
مستحکم . . فقد كانت أم أحمد (المرأة) تكره أم على
(الربابة) كرهاً شديداً . . ولا ترى فيها إلا مضیعة للوقت ،
وما زال القوم يذكرون تلك الزوبعة العاصفة التى لاقته بها
المرأة يوم عاد إلى الدار أول مرة يحمل الربابة وينبئها
أنه ابتاعها لقطعة . . من أحد الحوانيت فى البندر . . عند
ذهابه لزيارة خالته نفیسه .

كانت أم أحمد امرأة جد . . ترى أن « صرمانى » يعنى
« صرمانى » لا مغناوى ولا مزيكاتى . . وكانت ترى فى تعلق
زوجها بالغناء والطرب والموسيقى . . سبياً فى انشغاله عن

عمله الأصلي . . وفي صرفه عما يجب أن ينهمك فيه من ترقيع
« البراطيش » ، وإصلاح « الصرم » ، . . وسبياً في « وكسته »
أو خيبته . . وبقائه طول عمره « عتق » ، تعس في هذه البلدة
الخرابة الخاوية .

وكانت أم أحمد — وهي قاهرية من بولاق — تتوق
إلى العودة إلى مقرها الأصلي ولا تفتأ تنغص على زوجها
عيشه . . ملحة عليه في الرحيل إلى القاهرة ، وهو يستمهلها
حتى يفتح الله عليه وحتى يتجمع لديهما من المال ما يعينهما
على السفر وعلى الاستقرار في القاهرة .

وهكذا وجدت المرأة أن أملها في الرحيل عن هذه
البلدة الكريهة معلق بأن يفتح الله على زوجها فيجمع لها
قدراً من المال .

ولكن كيف يفتح الله عليه . . ومن أين يأتيه قدر من
المال . . وهو يضيع نصف وقته في الغناء والسمر والطرب ؟
وزاد الطين بلة . . تلك الربابة التي اشتراها والتي صرف فيها
مبلغاً لا شك في أنه كان يمكن أن يجعل منه نواة لتغيير
مجرى حياتها والرحيل عن هذه البلدة والاستقرار في مصر .
ومن هنا كان كره المرأة للربابة والغناء . وأخذت
المشاحنات تتزايد يوماً بعد يوم حتى بدأ صبر المرأة ينفد

وانتهى بها الأمر إلى أن تخرج من دارها ذات ليلة وقد تأخر عبد ربه عن موعد عودته متجهة إلى المقهى نائرة هائجة . . وتهجم على زوجها فتخرجه من بين الجمع الذى أحاطوا به . . وتنشب أطافرها فى عنقه وتمسك بالربابة فتحطمها . . ثم تسوقه أمامها عائدة إلى الدار .

ومنذ ذلك الوقت انطوى عبد ربه على نفسه لا يكاد يغادر مقعده . . وبدأت عليه علامات الهم والبؤس . . كأنما حرم من عزيز لديه . . يتناول الصرم ، من الزبائن كسير القلب حزين النفس . . والزبائن يقبلون عليه . . واجمين مطرقين . . كأنهم فى مأتم . .

وسرى الحزن من عبد ربه إلى أهل البلد جميعاً . . وأضحت مجامعهم صامتة ، بعد أن خلت من عبد ربه وربابته .

• • •

ومضت بضعة أسابيع والبلدة صامتة واجمة كأنما قد نزلت بها نازلة وأصابتها كارثة . . حتى كان ذات يوم حدثت معجزة اهتزت لها البلدة .

لقد هبط عليها محسن كريم . . أغدق عليها حسناته فأنقذها مما بها . . وترك أهلها حيارى مشدوهين ، يتسألون من يكون هذا المحسن المجهول . . فلا يجدون جواباً .

استيقظ أهل البلدة ذات صباح فإذا بالبريد يحمل إليهم
سيلا من الحسنات كان أولها بضعة عشر جنيهاً لإصلاح
الجامع .. وبضعة أخرى لشراء أقمشة للأطفال .. وهكذا
لم يترك المحسن ناحية إلا أغدق عليها من أفضاله .. حتى
المقهى .. لم يحرم من مبلغ وفير لإصلاح حاله ولشراء
بعض الكراسي .. والدكك .

وكان آخر هذه الأفضال المنهالة على أهل البلدة من
المحسن المجهول أو أكثرها غرابة .. طرداً كبيراً مرسلاً
باسم « الصرمانى » .

وتكأ كآ القوم حول الطرد ليعلموا ما يحويه ..
ووقفت أم أحمد لاهثة الأنفاس .. مشدوهة ..
حيرى .. تحملق فى الصندوق وقد أخذ زوجها فى فتحه
لرؤية ما جاء به .

ونزع عبد ربه غطاء الصندوق برفق وأخذ يزيل طبقة
القش التى علت سطحه ثم مد يده وأخرج ما به .
وندت عن القوم صيحة دهش .. وفغرت أم أحمد
فاها وهى تحملق فى محتويات الطرد .. فقد كان لا يزيد
عن « ربابة » .

ربابة ؟ ! هذه أمنية للبلدة كلها قد تحققت ولا شك .

وأمسك عبد ربه الربابة يفحصها في إعجاب ولهفة ..
وقد علت وجهه أبلغ علامات الرضا .
وهزت أم أحمد رأسها في خيبة شديدة .. وأصابها
الحيرة فلم تعرف كيف تتصرف إزاء هذا الخصم الجديد
الذي أرسله لها الحسن الأحق المجحول .

وأخذ القوم يتساءلون عن يكون هذا المحسن
العجيب الذي غمرهم بفيض من إحسانه وعطفه !!.. ! وفجأة
صاح الشيخ على .. خادم الجامع وإمام البلدة :
— لقد وجدته .

وبهت القوم وتساءلوا :

— من ... !!؟ من هو ...؟

وعاد الشيخ على بصيح :

— عبد ربه .. ولا أحد غيره .. إنه لا شك السبب
في هذه النعم التي أغدقت علينا .

وهز القوم رؤوسهم في دهش وحلق عبد ربه بعينه
وأشار إلى صدره متسائلا في عجب :

— أنا؟ !!

— نعم أنت .. فلا شك أن أحد الأثرياء من أصحاب
الأراضي المجاورة قد سمع نبأ ربابتك وكيف حل بنا الحزن

بعد أن حطمتها امرأتك . . وربما سمعتك تغنى ذات مرة
فأطربته . . وساءد أن يخفت صوتك وتصمت ربابتك
ورغب في أن يعوضنا عما أصابنا من غم . . فوهبنا ما وهب
وأعقد علينا من نعمه . . وليس أدل على صحة قولى من
أنه خصك أنت بالذات بهذه الربابة .

ولم يكد الشيخ على ينتهى من قوله حتى أمن القوم عليه
وأقبلوا على عبد ربه يشدون على يديه ويوسعونه عناقاً
وتقبيلاً . . وأبدى الشيخ على اقتراحاً ، أنه يجب عليهم
اعترافاً بفضل عبد ربه أن يجعلوا له أجراً شهرياً نظير غنائه
وعزفه على الربابة .

ووافق القوم بالإجماع . . قائلين إن عبد ربه يستحق
كل خير . . وإن البلد قد خيم عليه الشقاء والتعاسة منذ أن
خفت صوته وصمتت ربابته .

وانفجرت أسارير أم أحمد . . وأحست لأول مرة
في حياتها . . باحترام لزوجها ولربابته . . فقد أصبح الغناء
والعزف عملاً رسمياً . . وأضحى الربابة مورد رزق بعد أن
كانت مضيعة للوقت . . ومدت يدها فتناولت الربابة برفق
قائلة له :

— حاسب عليها لتتكسر .



وهكذا عاود عبد ربه غنائه وعزفه على الربابة ..
وعادت إليه بشاشته .. وانقضت عن البلدة سحب الغم التي
خيمت عليها ، وعاد النجوم إلى سابق فرحهم ومرحهم ..
وفكاهتهم ومجونهم .

ومرت الأيام .. وسر المحسن المجهول ما زال في طي
الحفاء لم يستطع مخلوق أن يتوصل إلى كشفه .

وفي ذات يوم ذهب الشيخ على إلى دكان عبد ربه
الصرمانى .. وتربع على مقعد أمامه وتناولته حذاه ليجرى
له فيه بعض الترقيع والترميم . وجرى بينهما الحديث . فسأل
الشيخ على صاحبه عن امرأته وكيف أصبحت . وأجاب
عبد ربه بلهجة راضية :

— الحمد لله ..

— أظنها كفت عن تنغيص عيشك .. ومنعك عن
الغناء والعزف ؟

— أجل لقد تبدل حائها ورقت مشاعرها وأصبحت
هى نفسها تطلب منى الغناء والعزف .

— هذا شيء واضح .. حتى ليخيل لى أنها قد تغيرت
تماماً .. لقد أصبحت امرأة كاملة .. لولا

ثم هن الشيخ على رأسه في أسف ، فسأله عبد ربه
في دهش :

— لولا ماذا؟ ..

ولم يجب الشيخ على . بل استمر يهن رأسه . فعاد
عبد ربه يستحثة :

— تكلم يا شيخ على . . لولا ماذا؟

— لولا أمر يبعث في نفسي التساؤل والحيرة . . وهو
نظراتها إلى .

ودهش عبد ربه ورفع حاجبيه متسائلا :

— ما لها نظراتها إليك؟

— إنها تنظر إلى نظرات غريبة مريبة . . نظرات
ملينة بالحدر والشك . . كأنها تكاد تجزم بأني أبله أو
مجنون؟

واندفع عبد ربه في قهقهة عالية . . وأخذ يهتز من فرط
الضحك ، وبدأ الشيخ يتملكه الغضب وصاح في صاحبه :
— ما يضحكك من قولي؟

وكف عبد ربه عن الضحك واستطاع أن يتمالك نفسه
وقال في شبه اعتذار :

— الواقع أنها معذورة يا شيخ على .

وازداد غضب الشيخ على وعاد يهدر صائحاً :
— معذورة ...!! يا ابن الحرام .. يعنى أنا راجل
مجنون ؟
— العفو يا شيخ على .. لا أقصد هذا .. لو عرفت
السبب لأدركت أنها حقاً معذورة .
وصمت عبد ربه برهة ، ثم أخذ يروى لصاحبه
السبب قائلاً :
— هذا بينى وبينك أرجو منك ألا تبوح به لإنسان ،
مفهوم ؟

— مفهوم .
— أنت تعرف أنى فى كل عام أذهب إلى البندر لزيارة
خالتي نفيسة .. والواقع أنى كنت أودى هذه الزيارات
مكرهاً لأنى لا أكره شيئاً كمغادرتى للبيت .. ولكنى كنت
أرى فى الزيارة واجباً علىّ لا بد من تأديته .. فقد كانت
خالتي هذه امرأة وحيدة ليس لها من الأقارب سوى .
وكانت زيارتى تسبب لها سعادة كبيرة وتشعرها بأنها
ما زالت لها صلة بهذا العالم وأن هناك من يسأل عنها .

وذهبت آخر مرة لزيارتها منذ بضعة أشهر — وأذكر
أنه كان يوم جمعة — وقد استيقظت قبيل الفجر فتوضأت

وصليت الصبح حاضراً . . ثم توكلت على الله وسرت
إلى البندر .

وكنت طوال الطريق أفكر في حلم رأيته . . وأنت
تعرف أن أحلامي لا تخيب أبداً . . ولذا كنت شديد
الوجوم ، منقبض الصدر .

رأيت في الحلم أني سائر على شاطئ بحر في ليلة معتمة ،
وفيا أنا سائر خيل إلى أني أسمع أصواتاً جميلة وأنغاماً
حلوة كأنها آتية من وراء البحر ، وتوقفت أنصت مرهفاً
أذني محاولاً تجميع النغمات . . ولكن مصدرها كان بعيداً
وكان معظمها يتبدد مع النسيم فلا يصل إلى منها إلا أجزاء
متقطعة كأنها رائحة الشواء . . تحرك الشهية ولا تغني
من جوع .

واشتد بي الحنين إلى النغم وأنا واقف مرهف الأذنين
حتى وجدتني أجرى في المياه متجهاً على غير إرادة إلى
مصدر النغم .

وظللت أسبح وأسبح ، والنغم يزداد اقتراباً ، وتزداد
معالمه وضوحاً . . ولم أشك وأنا أقرب منه أن
مصدره ربابة تجرى عليها يد عازف ساحر . . وبعد طول
جهد لاحت لي ربوة مشرقة سابحة في ضوء القمر . .

فأسرعت في السباحة كي أبلغها . موقناً أن النعم لا بد وأن يكون صادراً منها .. وأخيراً وبعد أن كدت أبلغها سمعت صرخة مفاجئة وصوت استغاثة يشق الفضاء ، وتلفت إلى مصدر الصرخة فإذا بمركب مقلوبة وغريق يحاول النشيط بها .. وترددت برهة فقد كان جهدي بالغاً نهايته ، وكان طول السير في الماء قد استنفذ كل قواي .. وكان ما تبقى لي من قوى لا يكاد يوصلني إلا إلى الربوة المشرقة .. حتى لقد ساورني شك في أني مشرف على الهلاك إن لم أسرع إلى الربوة . ولم يطل بي التردد حتى عازمت على الاتجاه إلى الغريق ، فإما أن أنقذه أو نهلك معاً .. وأخذت أضرب الماء يأس حتى كلت قواي وأنا أقرب منه .. ولدهشي الشديد تبينت أنه خالي نفيسه .

وصحت بها مطمئناً أني عبد ربه ، وسألتها أن تتمالك حتى أصل إليها .. وظلت أجاهد في السير حتى بلغتها وأمسكت يديها وحاولت العودة بها ولكنها أنبأتني أنها ستبقى ، وأنه لا فائدة من عودتها معي لأنها ذاهبة ذاهبة .. ثم بدأت تغوص في الماء .. وصحت بها أن تتمالك وأنني سأنقذها وأعود بها ، ولكنها مدت يدها وخلعت منديلاً على رأسها وأعطته لي قائلة :

— خذ هذا المنديل فإنه سيساعدك فى بلوغ الربوة .
واختفت فى جوف الماء ، ولم أجد بداً من العودة
وحيداً ، ولكنى كنت أشك كثيراً فى إمكانية العودة فقد
كانت قواى قد خارت تماماً . . . وأمسكت بطرف المنديل
فإذا بالريح تنشره . وإذا به يكبر ويتسع حتى أضحى كأنه
قلع مركب ، وتشبثت به . . فأخذت الريح تدفعنى وتدفعه . .
وفى غمضة عين بلغت الربوة المنشودة . . وجلست أنعم
بالنعم العجيب .

كان حلماً عجيباً . . كان لا شك يعنى شيئاً . . وكنت
أخشى كثيراً من هذا الشيء الذى يعنيه . . ألا وهو ذهاب
نخالى وفشلى فى إنقاذها من الغرق .

وكان الوهم يحملنى هماً ثقيلاً . . فقد خيل إلىّ أنى لن
أصل إلى الخالة إلا وقد ذهبت إلى جوار ربها .

ولكنى استعنت بالله على طرد هذا الوهم ، ونقضت عن
نفسى آثار ذلك الهم ، وقلت : إن كل ما أظنه ليس سوى
أضغاث أحلام . . واتجهت قبل أن أذهب إلى المحطة إلى
دكان سيد العطار لأبتاع لخالى كيس الدقة المصنوعة من
السمن الذى تعودت أن أحمله لها فى كل زيارة .

وتذكرت بعد أن ابتعت الدُّقَّة أنها قد أوصتنى بشراء

رطل من الحناء وبعض اللبان الذكر . . . ولم يكن معي من النقود إلا ما كنت أحاول ادخاره خفية من زوجتي لشراء ربابة جديدة . . . ولكني مع ذلك لم أتردد في أن أبتاع للخالة العزيزة ما طلبت بالنقود المتوفرة قائلاً لنفسى : إنى أستطيع أن أدخر مبلغاً آخر وأن أوجل شراء الربابة بعض الوقت . . . ولم يكن في إقدامى على هذا العمل أى إحساس بتضحية . . . بل كان مجرد استبدال متعة بمتعة . . . فأنا دائماً أوازن في حياتى بين المتع وأختار المتعة الأبقى والأفضل . . . وفى هذه الحالة اخترت المتعة المستمدة من إسعاد شخص قد حرم إلا من السعادة التى أستطيع أن أهبه إياها . . . وهى متعة لو تعلم تفوق كل متعة .

وهكذا سرت إلى المحطة حاملاً فى يدى السبت الملىء بمطالب الحالة من دقة إلى حناء إلى لبان . . . الخ . أو على الأصح هديتى السنوية .

ولا أكذبك القول أنى كنت أحمل الهدايا . . . وبأنفسى كثير من الشك أنى لن أجد المهدى إليها ، ولذا لا تسلم عن فرحتى عند ما وصلت فوجدتها سليمة معافاة .

واقبنتى بالترحاب . . . وضممتنى إلى صدرها فى حنان ورفق وقالت :

— طول عمرك . . وانت ولد طيب . . إن الله لن
يغذلك قط .

كانت تعتبرني ولداً حتى ذلك الوقت .
وجهزت لى الغداء . . وجلست تطعمنى . . كأننى كما
تعتبرنى مجرد ولد .

وبعد الطعام . . ماتت .
أجل . . ماتت فجأة . . هكذا كما أروى . . بدون أى
سابق إنذار .

ومع ذلك لا أظن الموت يحتاج إلى إنذار ، لقد كانت
تجلس على شلته ، ويدها فنجان القهوة ، فوجدت رأسها
يميل ، وجفنيها يتثاقلان ، ويدها تهبط بفنجان القهوة
على حجرها .

وأصابنى من مراها رجفة شديدة . . ولكنى وثبتت
تجاهها وحملت فنجان القهوة المسكوب على ساقها ثم أرققتها
على الشلته كي تسريح ، وقلت لها فى جزع :
— ما بك ؟ !

فلم تجب ، وأخذت رأسها تتمايل متحركة يمنة ويسرة .
ثم فتحت عينها بعد لحظة ، وتمتعت بصوت متقطع :
— ورقة اليانصيب . . إنها فى درج الدولاب تحت

العلبة الصفيح .. لقد ابتعتها بكل ما كنت أملك .. لقد كان مبلغاً ضئيلاً لا يستحق أن أهبه لك .. ولكن فكرت أنى أستطيع أن أبتاع لك هذه الورقة .. وأن أهب لك معها بعض دعوات خائصة بالربح .. فإذا استجاب الله دعواتى .. وهياً لها الربح .. فإنى قد وهبتك بذلك مبلغاً طيباً .. إنك ولد طيب .. والله لن يخذلك .

ولم تمض بضعة دقائق حتى أسلمت الروح .. ولم تمض بضعة ساعات أخرى حتى ووريت التراب وانتهى كل ما كان من أمرها إلا أمراً واحداً هو ورقة يانصيب عثرت عليها تحت العلبة الصفيح مكتوبة باسمى .

أعرف ورقة يانصيب المواساة .. إنها ورقة كاملة لا نصف ولا ربع ولا عشر .. إذا ربحت نمرتها فمعاها أنى ربحت بضعة عشرات آلاف من الجنيهات . وأحسست بالدموع تنهمر من عيني .. لا لأنى أتوقع ربحاً — فأنت تعرف أنى لا آمل كثيراً فى مثل هذه الأشياء — ولكن فرحى كان إحساساً منى بجميل تلك المرأة الراحلة التى ودت أن تعوضنى عن اهتمامى بها وزيارتى لها .. فابتاعت ورقة اليانصيب بكل ما تملك ، راجية أن يكون لى بعض الحظ .. فتربح النمرة .

ووضعت الورقة فى جيبى فى سكون . ومضيت أنجول
فى الطرقات حتى استقر فى الأمر على إحدى المقاهى وبعد
برهة مر فى صبي يحمل فى يده بضع أوراق يانصيب . .
وكشوفاً بها نتائج السحب .

وتملكنى شيء من الارتباك . . ثم ناديت الصبي بصوت
خافت وأخرجت الورقة من جيبى وبدأت أخص الكشوف .
وبالطبع لم تكن نمرتها تطابق البريمو . . فتجاوزت
عنها . . وبدأت أهبط بعينى إلى بقية النمر الراجعة التى
فى الكشف .

ولجأة رأيت الأرقام تتراقص أمام عينى . . ثم تشابك
وتنقلب رأساً على عقب . . فشددت من الشيشة التى أمامى
نفساً طويلاً استعنت به على تهدئة نفسى . . وعدت أحلق
فى الكشف مرة أخرى .

لقد وجدت . . هى بعينها . . نفس الأرقام بلا جدال
ولا نقاش .

لقد ربحت الورقة . . ولكن النمرة . . ليست الأولى ،
ولا الثانية ، ولا الثالثة . . ولكنها مع ذلك ربحت مبلغاً
محترماً بالنسبة لآى إنسان محترم . . أما بالنسبة لى . .
فقد كان محترماً جداً .

وبدا لي أن أقوم فأرقص عشرة بلدى فى وسط
المقهى . . وأن أطلب من الحاضرين أن يطلبوا ما يشامون
على حسابى وأعلنهم أن عبد ربه صرمانى سندويس قد
أصبح ذا مال ، وأنى رغم مظهرى رجل غنى .

وهممت فعلا . . بالنهوض والصياح . . ولكنى فجأة
تذكرت أمراً بدد فى نفسى كل ما بها من فرح وغبطة ،
وهبط علىّ كحمل أثقل كاهلى . . وأنقض ظهرى . .
ووجدت أنى قد استرخيت على مقعدى منهكاً لا أستطيع
نهوضاً ولا صياحاً .

تذكرت ما سيحدث عند ما أذهب بالنقود إلى البلدة ،
وأنبىء بها أم أحمد . . ماذا يمكن أن تقول لى ؟

ستهتف بنى صائحة : وربنا تاب علينا من بلد السوء . .
يا لله على مصر . . تفتح دكان جزمانى فى بولاق . . وتبقى
بنى آدم . .

أنا لا أكره بولاق ، ولا أكره مصر . . ولكنى فقط
لا أعرف أحداً هناك ، ولا يعرفنى أحد . . إنى فى بلدتنا
كل شيء . . أما هناك فساكون لا شيء . . سأكون قشة فى
عباب متلاطم الأمواج . . إنى هنا صرمانى البلدة . . بلا شريك
ولا منازع . . وإنى مغنيها ، ومطربها . . ومحدثها ،

ومضحكها .. إني البلدة ، والبلدة أنا .

تري كيف أكون في بولاق ؟!

وأحسست بقشعريرة تسرى في جسدى . ونهضت من
مكاني مشاقلا ، وأخذت أجوب الطرقات على غير هدى
مطرق الرأس ، مهموم القلب . . وقد أخذت الذكريات
تتزاخم في رأسى وتغلى فيه كأنه مرجل ، ذكرت بلدتنا
العزيزة . وأهلها الكرام . . تذكرت غناءنا ومرحنا وضحكنا
وطربنا .

تذكرت شاطئ الترعة صباحا وقد أقبلت عليه أم السعد
والسيدة وفرح يحملن البلايص على رؤوسهن ، ويتهادين في
خطاهن ، وقد افترت ثغورهن ، وشاعت في أسارىهن
السعادة والهناء .

تذكرت صندوقى وشاكوشى ومقعدى و « براطيشى »
و « صرمى » و « جردلى » . تذكرت الجامع على شاطئ النيل
وصلاتنا جماعة ، تذكرت كل شىء ووجدت الدمع يهيم من
عيني مدرارا ، إني أحب بلدى بكل ما فيه ولا أرضى به بديلا
و « لو شغلت بالخلد عنه . نازعتنى إليه في الخلد نفسى » .

ولجأة توقفت في مكاني ودون أن أشعر وجدتنى
أخاطب نفسى قائلا :

يا عبد ربه يا صرماقي ، يا من لم تنجب الحياة أغني
ولا أحقق منك ، يا من تغرق في شبر ماء ، قاتلك الله من
حمار أبله ، ويم كل هذا التفكير وهذا الحزن ؟ هل نسيت أن
المرحومة خالتك لم تهب ما وهبت إلا لغرض واحد هو
إسعادك ؟ انها لم تترك لك ورقة اليانصيب إلا لأملها في
أن تربح ، ولم تأمل في أن تربح إلا لرغبتها في أن تجلب لك
الهناء والسعادة ، فهل حققت غرضها ؟ كلا والله . لقد
أغرقت نفسك في الهموم ، إن النقود لا قيمة لها إلا
إذا كانت وسيلة لجلب السعادة وطرده الشقاء . . أما إذا
جلبت لنا الهم فلتذهب مع الشيطان ، أنا بغيرها أنعم
بالا ، هيا أيها الأحق . اسعد نفسك وحقق غرض خالتك
ونفذ وصيتها . .

وانطلقت أقبه . . وأخذت أعدو في الطريق راقصاً
والناس ينظرون إلى نظرتهم إلى ذي جنة . . ثم أمضيت
يومين في البندر وأنا منهمك في جلائل الأعمال . . وفعلت
أقصى ما يمكن أن يسعدني . . ثم عدت إلى البلدة . . خاوي
الوقاض . . وبعد بضعة أيام . . وصلت البلدة عطايًا المحسن
المجهول ، وأقسم لك أني ما كنت أستطيع أن أكون أكثر
هناء أو أنعم بالا .

ثم توقف عن الحديث .. كأنه أتم القصة .
وصاح الشيخ على فاغراً فاه في دهشة شديدة :
— إذن فهو أنت ؟

وهز عبده رأسه وأمن بقوله :

— نعم .

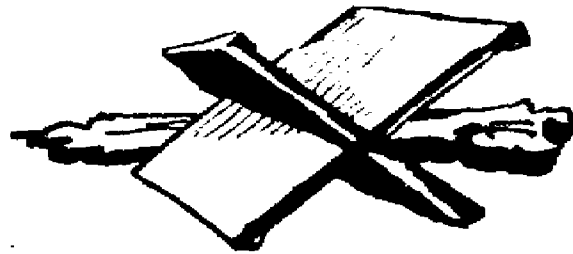
ومضت برهة والشيخ على مطرق برأسه من فرط
الدهش .. ولجأة رفع رأسه متسائلاً :
— والكنك لم تقل لي رغم كل هذا لم تظنني امرأتك
مجنوناً ؟

— لأنها تعتقد أنك أنت المحسن المجهول .



الحاج قطة

الحاج قطة . . هذا الذى يقيم صاحبنا
في ضريحه . . والذى تجرى حوادث قصتنا
تحت قبته . . هو أحد أولياء الله الوهابين
من ذوي البركات والكرامات الذي يزعم
أهل القرية أنه كان يتعمص في حياته جسد
قطة ، فيمر على أهل القرية ليسدى إليهم
النصح ويمد لهم يد المعونة ، وأنه كان يتحدث
وهو في جسد القطة كما تتحدث نحن الآدميين .



الساعة الرابعة صباحاً . . . وقد تمدد الشيخ مبارك في فراشه . وانطلقت أنفاسه في شخير خافت . وانحسر جلبابه الدمور المخطط عن ساقين كالأقلام البسط ، سمراء عجفاء ملساء جرداء . وقدمين معروقتين مشققتين وركبتين نفرت منهما العظام حتى كادت تشق الجلد الواهن الرقيق .

ويبدو الجسد بعد ذلك . وقد أخذ الصدر فيه يعلو ويهبط . ومع كل حركة منه يسمع « تزييق » كأنه نعل حذاء جديد يهبط إلى الأرض لأول مرة . وتتدلى يداه طويلتين مسترخيتين من فتحتي كم الجلباب الواسع ثم يبرز العنق من فتحة الصدر . . وقد وصلته بعظام الترقوة والكتفين عدة عروق بارزة نافرة أشبه بحزمة من الأنايب .

أما الوجه فلا يمكن تمييز سياه إلا من بعد . . أما إذا حققنا فيه من قرب فنجد أنه أشبه بقطعة أرض مستوية . . مليئة بالهضاب والوهاد والأخاديد والجروف ، وقد تناثرت فوق تجاعيد ذقنه الشعيرات البيضاء ، وتهدل الشارب على فجوة الفم . وبدأت من فوقه هضاب الأنف

مفرطحة منبعجة قد أطلت الشعيرات من فتحاتها وتناثرت
المسام على سطحها .

وتبدأ أولى بشار اليقظة باهتزاز في الجفنين وارتعاش
في الحاجبين . . ثم يمد أصابعه الطويلة فيحك فجوات عينيه ،
ويفترفاه على أشده في ثناؤب حاد تنقلص معه عضلات
بطنه ويمد ذراعيه مشدودتين متمطياً بكل ما يملك من قوة .
ثم يعود جسده إلى الاسترخاء ، وتمضي برهة يبدو فيها
الرجل كأنه قد عاد إلى نومه مرة أخرى . . حتى نراه فجأة
قد نهض بنصفه الأعلى . . ثم أدلى ساقيه من الفراش ،
وتنحى وسعل وبصق . . ثم صاح بصوت متحشرج :
— عويس .

وتذهب ، عويس ، الأولى مع الريح . . فيكرر الرجل
النداء مرة أخرى بصوت أشد :
— ياواد يا عويس .

وتذهب الثانية كما ذهبت الأولى ، ويتكرر النداء مرة
ثالثة ورابعة ، وفي الخامسة يبدأ عويس في التقلب والتمليل
ويزفر زفرة شديدة . . ثم يعود إلى سباته .

ويطلق الشيخ مبارك السادسة . . مصحوبة ببعض
ألفاظ السباب والنهر والزجر فيظهر مفعولها الخامس

في إيقاظ عويس .. فيجلس القرفصاء على فراشه المكون
من قطعة من الخصير فرشت على الأرض في الطريقة الضيقة
الكائنة أمام حجرة الشيخ مبارك .

ويبدو عويس وقد تكور في جلسته مرتدياً فائلاً سمراء
وسروالا من الدمور واسعاً فضفاضاً .. تدلت تكتة
الطويلة ذات الشراية على الأرض ، وتأمل ، الواد عويس ،
فوجد أن خير ما يوصف به أنه ، جته ، أو ، شحط ، أو
، فحل ، عريض المنكبين .. متين البنيان قوى العضل ..
فارع الطول .. أسرفت الطبيعة في خلقه .. فوضعت فيه من
مواد البناء الآدمي ما يكفي لعمل اثنين .. بالراحة !

ويرفع عويس رأسه من بين ركبتيه .. فيبدو لنا وجهه
على ضوء مصباح الغاز الذي تضطرب ذبائته على الرف ،
وجه فلاح نموذجي عريض الصدغين .. كبير التقاطيع ،
خشن المنظر .. بادي الطيبة .

وينطلق النداء العاشر من حنجرة الشيخ مبارك ..
فيأخذ عويس في هرش جسده وحك رأسه .. ثم ينهض
متثاقلاً ، ويتحرك حركة لا إرادية .. فإنه لم يستيقظ بعد ،
وتمتد يده إلى صفيحة مياه في ركن الطريقة فيصب منها
في إبريق من الصاج ثم يتناول قصعة متسعة فارغة ويتحرك

يطلب متجهاً إلى حيث يجلس الشيخ مبارك . ويقف أمامه .
كل هذا دون أن يجيب على ندائه . . . أو ينبس
بيئت شفة .

ويهبط الشيخ مبارك من فوق فراشه الخشبي فيجلس
القرفصاء على الأرض ، ويبدأ الوضوء ، وبعد دقائق نراه
قد اتخذ مكانه . . في زاوية الحاج دقطة ، يوم المصلين
في صلاة الفجر .

هذا هو أول أعمال الشيخ مبارك . . أو سيدنا . كما تعود
أهل قرية «سلنت» أن ينادوه ، وكان الرجل يحس في قرارة
نفسه أنه سيدهم فعلاً . . فقد كان ذا شخصية مهيمنة ،
وكان يتمتع بقدر من الحبث يهيء له التحكم فيمن حوله
من السذج البسطاء ، والسيطرة على عقولهم .

وكان الشيخ مبارك يمثل في القرية السلطة الدينية
والروحية والعلمية والأدبية ، فقد كان — بمسبحته وتمتمته
وتعاويذه وصلواته — إمام القرية ومقرئها وملجأ أهلها
في الكوارث والنوازل ، وكان — بعصاه ومنظاره وكتبه
الصفراء — معلم القرية ومرشدها وواعظها وناظر كتابها .
وكان الرجل يباشر كل أعماله تلك ، من صلاة
وتدريس ووعظ وإرشاد ونوم وأكل واستقبال ضيوف

وشتيمة عويس . . في مكان واحد . هو مقره المختار . .
زاوية الحاج قطه .

والحاج قطه هذا الذي يقيم صاحبنا في ضريحه ، والذي
تجرى حوادث قصتنا تحت قبته . . هو أحد أولياء الله
الوهميين من ذوى البركات والكرامات الذي يزعم أهل
القرية أنه كان يتقمص في حياته جسد قطه . فيمر على أهل
القرية ليسدى إليهم النصيح ويمد لهم يد المعونة وأنه كان
يتحدث وهو في جسد القطه كما نتحدث نحن الآدميين ،
وأنه كان إذا مرض أحد أهل القرية يتولى علاجه ،
ويقوم عنه بحرث أرضه وريها وبكل ما كان يؤديه
في صحته .

هذا هو بعض ما يتحدث به أهل القرية . وهناك غير
ذلك الكثير من الكرامات الخرافية التي ينسبونها إلى ولي الله
الشيخ قطه المبجل .

ويعتبر الشيخ مبارك خليفة ولي الله بين أهل القرية
ويزعمون فيما بينهم أن الشيخ قطه لا يفتأ يهبط إليه بين آونة
وأخرى . . ليزوده بالبركات والنفحات الطيبات .

ولا يكاد الشيخ مبارك ينتهى من تأدية أول أعماله ،
وهى صلاة الفجر ، بما يتبعها من تسبيح وتمتمة وقراءة

أوراد ، حتى ينطلق من حنجرتة النداء المعتاد :

— عويس .

ويصل النداء إلى أذني عويس العريضتين كأذني حمار ويكون الرجل منهمكاً في تنظيف التعريشة، الكائنة خارج الزاوية ورش أرضها بالمياه وريّ العنبة التي تتسلق قوائمها وتمتد على سقفها ، وتمثل التعريشة جناح العلم في منشأة الشيخ قطة . . أى كتاب القرية ، ولايزيد أثاثها على بعض قطع من الحصير فرشت على الأرض ودكة خشبية وضع بجوارها مفرعة وزير اتخذ مكانه في أحد أركان التعريشة .

ويتحرك عويس في صمت متجهاً إلى الطريقة الفاصلة بين ضريح الشيخ قطة وفراش الشيخ مبارك الذي يتخذه هو مرقدآ له . . فيجلس القرفصاء أمام وابور غاز ويأخذ في إعطائه بضعة أنفاس ثم يتناول المصباح الغازي فيشعل ذبالبته ، وينتظر برهة حتى يسخن ثم يضع فوقه برادآ أسود بقاعه بقايا شاي يصب عليه الماء من الكوز الكائن بجوار الزير ، ثم يحمله وكوباً صغيراً إلى الشيخ مبارك .

وأخذ الشيخ مبارك في احتساء الشاي الأسود في صمت وإطراق وجلس عويس على مقربة منه يحتسى نصيبه من كوب آخر .

ولجأة قال الشيخ مبارك في صوت عميق :
— يا عويس . . يبدو لي أن أجلى قد قرب .
ونظر إليه عويس في فزع وقال مأخوذاً :
— لا تقل هذا الكلام ياسيدنا الشيخ . . ربنا يعطيك
طول العمر .

وهزّ الشيخ مبارك رأسه ببطء وقال في إصرار :
— أنا أعرف ما أقول . . إن أحلامي لا تخطيء قط ،
لقد زارني في المنام الحاج قطرة وكان يرتدى جلباباً أبيض ،
ويشع من عينيه بريق خاضف وقال لي يا شيخ مبارك إني
في حاجة إليك . . فقلت إني خادمك وطوع أمرك ، فقال
إني أريدك أن تصعد معي . . فسألته :
— متى ؟

— الآن . . هل لديك مانع ؟
وهمت أن أجيبه كلا ، ولكنني تذكرتك ، وقلت
لنفسى إنه لا يجب أن أتركك هكذا فجأة ، وإن أقل واجبات
اللياقة والذوق تقتضي أن أنبئك عند الرحيل بأنني راحل .
ولا يجب أن أتركك بعد هذه العشرة الطويلة دون
أن أودّعك ، ودون أن أزودك بالنصائح والوصايا ،
ثم إن هناك أمراً أجلى من هذا وأخطر شأنًا ، وهو أنني

يجب ألا أرحل قبل أن أترك خليفة من بعدى . . كما تركنى
الشيخ قطه خليفة من بعده . وعلى ذلك فقد قررت أن أطلب
من الشيخ قطه أن يمهلى قليلا وقلت له :
— اعطنى مهلة يا شيخ قطه . . حتى أبحث لى عن خليفة .
قبل أن أرحل معك .

— ومن تظنه يصلح لخلافتك ؟
وبحثت فى ذهنى عن إنسان فى القرية يصلح لخلافتى .
وأخذت أستعرض أهل القرية واحداً واحداً .
الشيخ زينهم ؟ منافق . . كذاب أشر . . الشيخ عقريس ؟
شر منه . . الشيخ فضل ؟ أحقق مأفون . . على أبو المعاطى ؟
زير نساء .
وهكذا أخذت أعجم عودهم فلم أجد منهم واحداً يصلح
لخلافتى .

وأخذ الشيخ يستحثنى بقوله :
— ما بالك لا تجيب ؟
وجأة وجدتك تقفز إلى ذهنى ، وشعرت باسمك يتخذ
مكانه على طرف اسانى وقلت له :
— عويس .

— عويس . . يصلح لخلافتك ؟



— أجل .. عويس .

— عويس ، الحمار الأبله الأبكم ، يصبح خليفة الشيخ
قطعة ؟ ! ما هذا بحديث عقلاء .. قل شيئاً آخر .

ولكنى مع ذلك أصررت عليك وصممت على
ألا أتخذ لى خليفة سواك ، وقلت للشيخ قطعة إثنى مسئول
عنك .. ولكنه قاطعنى فى سخرية :

— عويس يصبح خليفة الشيخ قطعة ؟ ! والله لقد هزلت ،
الواد عويس الغبى ، يصبح سيدنا الشيخ عويس ؟ ! على أى
حال أنت وشأنك .

وانطلق الشيخ قطعة يقهقه ضاحكاً .
وصمت الشيخ مبارك وأطرق برأسه برهة ، ثم رفع
بصره إلى عويس وقال فى صوت عميق :
— وهكذا يا شيخ عويس ، لابد أن تعد نفسك لأن
تتخذ موضعى بعد الرحيل .

ونظر عويس إلى الشيخ مبارك فى ذهول شديد ،
وأخذ يتمتم قائلاً : « الشيخ عويس ، .. سيدنا ، ثم بدأ
يتصور نفسه وقد ارتدى العمامة والمنظار وأمسك بالمسبحة
والعصا ، وأقبل الناس عليه يقبلون يده ويمسحون جباههم
فى طرف جبهته زيادة فى التبرك .

من كان يظن هذا . . ؟! عويس . . يرث الخلافة ،
ويضحى رب الضريح لاشريك له فيه . . ينام على الفراش ،
ويأخذ الهدايا من كل حذب وصوب . . شاي ، وسكر ،
ومنين . . وبن ، وعسل ، وفطير ، وبلح . . هذا والله ما لم
يجسر على أن يأمله مرة واحدة في حياته الراكدة .
وأى شيء يطلب منه تأديته في مقابل هذا ؟ . الصلاة ،
« بسيطة » ، والنسيح ، أمر سهل ، ، والتمتة « مسألة هائفة » ،
ماذا يطلب منه أكثر من هذا ؟ .

وجأة تذكر الكتاب والتلاميذ ، والتعريشة والألواح
الصفيح . . هذه هي المعضلة الكبرى ، والعقبة الكثود .
وعض على إصبعه في غيظ وندم وبدت على وجهه أبلغ
آيات اليأس والفشل وقال للشيخ مبارك في صوت خافت :
— لكن ياسيدنا الشيخ . . دانا معرفش أفك الخط !
كيف يمكن أن يصبح خليفة الشيخ مبارك وهو يجهل
هذه الطلاسم التي يعلمها الشيخ للصغار من الصبية .
آه لو كان يعرف فك الخط . . لكان كل شيء .
ياله من حمار كسول ، ماضره . . لو كان اتخذ مجلسه
بين التلاميذ . . فتهتف معهم : زين وفتح زنا : ره وفتح ره را ،
عين وفتح عا . . زرع .

ونظر إليه الشيخ مبارك نظرة فاحصة . وقال في لهجة
الوائق المنظمين :

— لقد فكرت في كل هذا ، لا تخش شيئاً . فسأتولى
أنا أمرك . لا تقلق نفسك .

— كيف . . ألم تقل إنك راحل الليلة ؟

— أجل ! ولكنى أستطيع أن أهبط إليك حين أشاء .
سأكون معك بروحى أفعل لك ما تشاء . . كل ما عليك
هو أن ترتدى العمامة والمنظار والجبّة وتمسك العصا والمسبحة
وتترك الباقي لى .

وهز عويس رأسه في حيرة وقال متسائلاً :

— لست أفهم ما تقصد !

— سيصاحبك عفريتى أينما حللت يفعل لك كل ما تريد
ويرشدك إلى كل ما تبغى . . ولن يبصره أحد سواك . .
ما رأيك ؟

ووجد عويس أن المسألة أعوص من أن يستطيع
فهمها أو التفكير فيها ، ولم يجد خيراً من أن يكل أمره إلى
الشيخ مبارك كما تعود أن يفعل في كل شيء ، وقال في لهجة
ملؤها الاستسلام :

— أمرك يا سيدنا .

ومر اليوم بعد ذلك بعويس . وهو أشبه بالمذهول
لا يعي من حوله شيئاً ، لا يكاد يسمع الصبية يصيحون :
زين وفتح زاء .. حتى يدق قلبه بشدة . وتصيبه رجفة من
قمة رأسه إلى إخمص قدمه ، ويقطر من جبينه العرق من فرط
الوهم والخوف .

وانتهى اليوم وذهب الشيخ مبارك إلى فراشه وعويس
ينظر إليه نظرات وجلة خائفة كأنه ينظر إلى عفریت .
ورقد الرجلان ، ووصل إلى أذن عويس صوت شخير
الشيخ مبارك أجش عميقاً كأنه يصدر من جوف قبر .
وبعد لحظات استغرق عويس في نوم مضطرب ملؤه
الأحلام المملأى بالعفاريت والأشباح .

وجأة استيقظ على صوت يصيح به :

— عويس .

من الذى ناداه ؟ إنه صوت يشبه صوت الشيخ مبارك
ولكنه قطعاً ليس صوت الشيخ مبارك ، فإن الشيخ مبارك
قد رحل .

أجل ! لقد صعد إلى جوار الشيخ قطة ، وأضحى عويس
الآن ، خليفة الشيخ قطة ، بلا شريك ولا منازع .

ومرة أخرى سمع الصوت العفاري ينادى :
— عويس .

ويح العفريت الأحمق المغرور ! ما باله ينادى هكذا ،
كأنما هو الشيخ مبارك نفسه ؟
لعله نسي أو تناسى مركزه هنا ، إنه مجرد خادم لا أقل
ولا أكثر .. كل ما عليه أن يؤدي ما يطلبه منه ، ويقضى له
ما يحتاج إليه .. وهو بعون الله لن يحتاجه إلا في مسألة فك
الخط ، وتعليم الصبية ما تيسر من ضرب وزرع وأكل ..
أما بعد ذلك فالله الغني عنه ، إنه سيقوم وحده بكل ما تبقى
من صلاة وتسييح وتمتمة .

أجل ! هكذا كان الاتفاق ، أو هكذا وعد الشيخ مبارك
قبل صعوده .. لقد أورثه كل ما ملك من ولاية ومشيخة ،
وترك له الضريح بأكله ، ولقد كان جديراً بأن يبقى كل ذلك
له وحده لا يشاركه فيه إنسان لولا غباؤه وجهله بفك الخط
ولكن الشيخ ترك له عفريته في خدمته وتحت أمره .
فالوضع الآن قد تحدد بوضوح ، فعويس قد أضحي
الشيخ مباركاً .. وما تبقى من الشيخ مبارك ، أي عفريته قد
أضحي عويساً .

فالواجب إذاً أن يرقد عويس في الفراش ، وأن يستلقي

العفريت .. إذا كان لابد له من الاستلقاء فوق الحصير .
وعلا الصوت مرة ثالثة بصيح ناهراً :

— وله يا عويس يا ابن الصرمة القديمه .
ما شاء الله ، ما شاء الله .. هكذا يبدأ العفريت خدمته .
طبعاً هو يظنه يجهل حقيقة الموقف . ويحاول أن
يشتمه فيتخذ منه موقف السيد كما كان يفعل الشيخ مبارك
وهو يبدو به هذه السباب كما كان يفعل الشيخ ، ظاناً أنه خادعه
ومخيفه ومخضعه لسلطانه .

والله ليرينه عاقبة خداعه وسفالته .. صبراً يا عفريت
الكلب !
ومرة رابعة .. انبعث الصوت مندفعاً بسلسلة السباب
المعتادة :

— وله يا عويس .. يا تور .. يا ابن التور .
لا .. لقد زادها .. لابد من ردعه وإلا ساق فيها .
وجلس عويس القرفصاء وصاح بأعلى صوته حانقاً :
— عايز إيه من عويس ؟

مالك بتزعق كده يا واد ، إنت اتجنيت .
— أنا اللي اتجنيت ؟ والله عال يا ولاد .. أنا برضك
اتجنيت ؟

— یا واد وصى صوتك . وما تزعقش كده . . وفوق
لنفسك . وقوم اعمل الشای .

— شای ؟! کمان عایز شای ؟! اهور ده اٹلی ناقص !

— انت یا واد جرا لعقلك إيه النهارده ؟

— طیب اتحمد أحسن لك ، وخلينى انام . . إحننا
ما صدقنا ربنا تاب علينا .

— یعنی مش حاتعمل الشای ؟

— شای لما یہری جوفك . . مش کفایہ مجمز علی
السریر ، وسایبى أنام علی الحصیره . . قوم فز . . قامت
قیامتک واتنصب میزانک ، قليل الحیا ماتختشیش .

— عویس ، فوق لنفسك یا عویس .

— فوق انت ، کل واحد لازم یلزم حده هنا ویعرف
مرکزہ . . من هنا ورايح تیجى تترمی مطرحی هنا . وتعمل الشای
وتحضر لی المیه أتوضا . . أنا ما بقتش حاجه قليله ، أنا الشیخ
عویس علی سن ورح . . واعمل حسابك تقف ورا یا فی
الدرس ، وتعلمنی کلمه کلمه ، واوعی تغلط لحسن أوريك
شغلك . . فاهم والا لا .

— لا . . الواد لازم جری لعقله حاجه أكید . . لازم
عایز له قلبین علی سداغه بفوقوه .

وسمع عويس صوت القبقاب الحشبي يقرع البلاط مقترباً
منه ، فظل يصيح السمع حتى وجد شبح الشيخ يستقر أمامه
جأة بالعباءة على كتفيه والعمامة فوق رأسه وصاح به :
— إيه يا واد الكلام اللي انت بتقوله ده .

— وكان لابس العمه والعبايه .. ضب اقلع بأه بالتى هي
أحسن . اقلع أحسن لك يا نصاب يا حرامى ، الحاجات دى
كلها بقت بتاعتى ، اقلع بسرعه ، بلاش نصب عفاريت .
— أقلع إيه يا واد ؟

— اقلع العبايه والعمه بتاعة الراجل .

— أنهى راجل ؟

— الشيخ مبارك .

— طب مانا الشيخ مبارك ، يا أعمى العين والقلب .

— وكان بتقول إنك الشيخ مبارك ؟

واندفع عويس يقمقه ساخراً ، وعند ما هدا ضحكه ،

قال فى هدوء ناصحاً :

— بقى اسمع يا أخينا ، أنا ما حبش المناكفه ولا ينظليش

على شغل العفاريت ده .. الشيخ مبارك راح وانتهى أمره

هوّا اللي قايل لى كده بلسانه ، إمبارح قال لى إن الشيخ قطة

زاره فى المنام وقال له إنه عايز ياخده ، وإنه كان ناوى يطلع

معاه لولا إنه حب يو صيني على الشغل ويديني شوية نصايح
عشان أشتغل بداله . ولما قلت له إن أنا معرفش أفك الخط
قال لي ماتخفش ، أنا حابعتك عفريتى ، يعمل لك اللى انت
عايزه .. يعنى انت دلوقت ماتزيدش عن خدام ، خدام فك
الخط .. دى كل شغلتك . فاهم والا لا؟ تقول لى وله يا عويس
وله يا هباب ، وتفهمنى إنك انت الشيخ مبارك .. ده كلام
مايدخلش عقل ، كلام نصب وتهويش .. فوت يا الله اقلع
العبايه والعمه وحضر الشاى .. واتلم بالتى هى أحسن ..
أنا عايز عفريت ملحاح ونشط ، ماتعملش زى التنبل ، اللى
اسمه عويس .. فوت ربنا يهديك .

— اسمع يا عويس ياخويه .. ربنا يهديك انت ، الكلام
اللى قولتهولك دا كان حلم ، وانا لسه ماتش ، لسه عايش
لغاية دلوقت ، الشيخ قطه خلف ميعاده ، فاصبر عليه شويه
لغاية ماموت ، أنا دلوقت الشيخ مبارك ، صدقتى .

— أبوه ياخويه خش فى عنيه خش .. أصلى حمار ..
ينطلى عليه الكلام ده .. يروح الشيخ مبارك ، الله لا يرجعه
تلاقى عفريت الشيخ مبارك .. فوت انجر اعمل الشاى ،
واقلع اللى انت لابسه ده .

وهنا نفد صبر الشيخ مبارك ، ورفع كفه ، وانهاى بها

على صدغ عويس بكل ما فيه من قوة صائحا :
— قوم جاك خابط في نافوخك ، تور ابن تور ، قوم .
وقام عويس وتفرس في وجه الشيخ مبارك لحظة وهو
يعض على نواجذه ثم قال في غيظ مكتوم :
— برضك دا اللي أنا عامل حسابيه ، سكتنا له ، دخل
بحماره ، بقى اسمع اما اقول لك .. هى زرع والا ضرب دى
حاتجبب القليعه .. ياخى بناقص زرع وضرب .. مش
ضرورى الأولاد يعرفوا الكلام الفارغ ده ، أدحنا ضول
عمرنا كويسين من غير زرع وضرب .. نقفل الكتاب ده
ونفضها سيره .

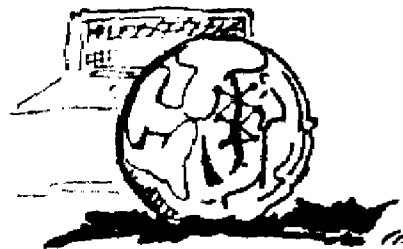
وفكر عويس برهة ، إن خير ما يفعله هو أن يمسك
بالعفريت ويلحمه بصاحبه إلى جث الشيخ قطة ، وبذا يخلو
له الجو .

ونجأة رفع عويس هراوته وانهاه بها على رأسه ، نخر
على الأرض صريعا .

واستيقظ أهل القرية ، ليجدوا الشيخ مبارك مضرجا
بدمائه ، قتيلا في رجة الدار .. أما عويس فقد استقر به
المقام فى مستشفى المجاذيب ، ممتعا بالخلافة ، مصرا على أنه
خليفة الشيخ قطة .

سى جمعه

سى جمعه هدا . . . انسان لا اظن من
السهل وصفه . . . ولا من السهل معرفة مهنته . .
وعلى اقامته . . . أو فهم خلقه وشخصيته . . وان
كان أبرز ما فيه . . . أو ما يمكن معرفته عنه . .
هو أنه لاعب كرة قدم . . . كان له سابق مجد
وتألق عز .



لم يكن هناك شك في أن هناك جديداً قد ضُراً على
سى جمعه . .

وقبل أن نحاول شرح هذا الجديد الطارىء على سى
جمعه ، لا بد لنا أن نشرح سى جمعه ، على قديمه . . أو على
ما تعود أن يكون عليه قبل أن يطرأ عليه الجديد الطارىء . .
سى جمعه . . أو جمعه افندى . . أو جمع . . كما تعود أن
يدلل من الأقربين إليه أو محمد محمد محمد عبد الرحيم جمعه . .
أو كما تعود هو أن يكتبه في أوراق الامتحانات . . أو كما
كان يناديه الشيخ زينهم مدرس الخط العربى الذى كان يأتى
إلا أن يناديه باسمه الكامل حتى ولو ناداه مائة مرة خلال
خمس دقائق .

سى جمعه هذا . . إنسان لا أضن من السهل وصفه . .
ولا من السهل معرفة مهنته . . ومحل إقامته . . أو فهم خلقه
وشخصيته . . وإن كان أبرز ما فيه . . أو ما يمكن معرفته
عنه . . هو أنه لاعب كرة قديم كان له سابق مجد وتالد عز .
ولسنا نعى بذلك أنه قد أضفى عزيز قوم ذل ، فهو
لا يذل أبداً مهما أصابه ، ولا يخضع مهما أخنى عليه الدهر
ورق به الحال . . بل هو يرى نفسه دائماً ، كابتن ، فى كل

وقت وفي كل مكان . . فما استطاع الفقر والبهذلة ، والوهن والعجز . . أن تنزع من رأسه أنه . . الكابتن جمعه ، السنترفوروارد الذي لا يشق له غبار . . ولا يقفقع له بالشان .

واستمر جمع طالباً في المدرسة يقضى يومه على المقهى الكائن على ناصية الشارع في لعب الورق ، والطاولة ، مع بقية الشلة المكونة من لاعبي الكرة الفاسدين والطلبة ، المزوغين . واستمر نجمه في البزوغ ومرت به أيام ذهبية . . اشتهر فيها وتناقلت اسمه الألسن . وأضحى يحس في نفسه . . كلما سمع هتافاً باسمه . . أو حمل على الأعناق كأنه زعيم قومي . ولم يطل بنجمه البزوغ . . فسرعان ما أقل كغيره من لاعبي الكرة السريعي الأفول . . وبدأت نهايته بانحداره إلى السهر في الكباريهات وباستبدالها بمقهى الوردة البيضاء . . كازينو استانبول . . وبدخوله في دور « رفق » ، مع سنيه بعزق .

وهكذا حلت نهايته كلاعب كرة . . وأغلقت في وجهه النوادي . . ليفتح في وجهه باب « سنيه بعزق » على مصراعيه ويدب في جسده الوهن والنحول والاسترخاء . . ومع ذلك فما نسي قط أنه الكابتن جمعه . . بل استمر حنينه إلى

اللعبة يدفعه إلى مشاهدة كل مباراة من المباريات الكبرى ..
وإلى « حشر » نفسه « والهنكرة » بين اللاعبين .

وانقطعت عن جمعه النقود التي كانت تدرها عليه قدرته
في لعب الكرة من النوادي ومن المباريات .. وأضحت
موارده محصورة فيما كانت تعضيه إياه صاحبه الراقصة .

واستمر جمعه يرتع في حياة بوهيمية صاخبة منهكة حتى
كان ذات صباح لاحظت سنية أنه قد استيقظ مبكراً على
غير عادته .. وأنه قد أقبل على حلاقة ذقنه بعناية ، وسألها
أن ترسل ملابسها إلى الكواء .

ولم يكن هناك شك في أن جديداً قد طرأ عليه ، وأنه
مقبل على حدث جلل . فما كوى بذلته منذ أن وضعها على
جسده .. وما حاول من قبل أن يرتدى كرافته وأن يصلح
هندامه .

واستفسرت أم سنية عن الطارئ الجديد فأنبأها في ثقة
أنه سيحصل على وظيفة محترمة .

وغادر جمعه الدار ، وسار — لأول مرة في حياته —
في تؤدة واتزان ، وقد كسى نفسه هبة كبار الموظفين .

وانفرجت شفتاه عن ابتسامة واسعة ، وهمس لنفسه :
« والله عال يا ابراهيم .. يا فلاح يا ابن الفلاح .. بقيت من

كبار القوم . . بس إياك ما تطلعش ندل وتنسى الجميل . .
وابراهيم هذا . . هو ابراهيم الفيومي . . أو ابراهيم
الفلاح ، الذى كان زميلا لجمعه فى المدرسة ، والذى كان موضع
سخرية الطلبة وضحكهم لفرط ولعه بالكرة ، وخيبته فيها .
كان ابراهيم الفلاح يتمنى أن يكون لاعب كرة ، وكان
ينظر إلى جمعة نظراته إلى أصحاب المعجزات ، وكان يحس له
نفس الاحترام والتقدير الذى يحسه لسيدنا الحسين والسيد
البدوى ، وكان أقصى رغباته هو أن يصاحبه فى المباريات
ويحمل له حقيبته .

وفى ذات يوم تغيب أحد أفراد الفريق الثانى فى إحدى
المباريات فتعطف جمعه عليه وأنزله بدل الغائب ، وهكذا
حقق له أمنية طالما تلهف عليها ، ووهبه فرصة فى حياته
يرتدى فيها فائز الكرة المخططة والحذاء ذى الرباط الطويل
الأبيض ، والاستدز ، .

وباعدت الظروف بين جمعه وصاحبه الفلاح ، واستقر
ابراهيم مع أبيه فى البلدة يساعده فى إدارة مصنع النسيج
الذى احتوى بضعة أنوال يدوية ومرت الأيام وبدأ جمعه
يسمع عن اتساع المصنع وتضخمه خلال الحرب حتى أضحي
جمعه يقرأ بين آونة وأخرى الاعلانات الضخمة فى الصحف

عن مصانع الفيومي للغزل والنسيج وعن مدى أثرها في النهضة الصناعية .

وفي ذات يوم استلقت نظره صورة صاحبه الذي كان ما زال يصر على تسميته ، الواد الفلاح ، وقد وضعت في مكان بارز في إحدى الصحف الصباحية الشهيرة وقد كتب تحتها ، صاحب العزة ابراهيم بك الفيومي ، وأنه يشكر كل من تفضل فنهأه بالانعام السامى .

وفي ناحية أخرى من الصحيفة قرأ خبراً آخر أن الوفود مازالت تترى على دار الوجيه ابراهيم بك الفيومي لتنهئته بالعطف السامى الكريم .

وفي ناحية ثالثة قرأ خبراً ثالثاً مؤداه أن ابراهيم بك الفيومي صاحب مصنع الغزل والنسيج قد تبرع بمبلغ سبعة آلاف جنيه لمشاريع البر .

وأصاب جمعه دهش شديد وترك الصحيفة جانبا . . . وشربه به الذهن بعيداً في الأيام الخوالي . . أيام كان صاحب العزة يتلف على أن يحمل حقيبته التي وضع فيها ملابس الكرة مرة واحدة وتذكر فرحته الشديدة عندما أدخل ضمن الفريق في إحدى المباريات ، وتذكر عدوه في الملعب وقد تدلى شرابه وبدت ساقاه كالجرید وانطلق بين اللاعبين

كالثور الهائج دون أن تمس قدمه الكرة مرة واحدة . .
أضخى صاحب عزة !! ووجيهاً !! ولم يستطع أن يكتم
ضحكة انطلقت من فمه ، وأخذ يردد لنفسه ، الفيومي بك ،
الوجيه ابراهيم بك ، صاحب العزة ، وانطلق يقهقه بشدة
متذكراً منظر ، الواد الفلاح ابن الفلاح ، الذى بينه وبين
الوجاهة ماصنع الحداد .

وفجأة مر بذهنه خاطر أفعمه سروراً .
هذه والله فرصة هائلة .

لم لا يذهب إلى الواد ابراهيم بك ، فيأمره بأن يعطيه
عملاً فى مصانعه الكبرى ! إنه لاشك ما زال يحس له بعض
الرغبة القديمة . وما زال يعتبره الكابتن جمعه ، أو جمع
، أبو رجل ذهب ، وليس هناك أسهل عليه من أن يهبه
منصباً محترماً .. مدير فرع .. أو مدير قسم .. أو باشمهندس
أو أى شئ من هذا القبيل ؟

ووصل أخيراً إلى إدارة المصنع ، دار نخمة البناء مليئة
بالحركة ، ودلف بين الحجرات سائلاً عن ابراهيم بك فقاده
أحد السعاة إلى مكتب السكرتير .

وسأله السكرتير فى ازدراء ظاهر :

— نقول له مين ؟ .

— جمعه . . الكابتن جمعه .

وقلب السكرتير شفتيه ثم قام متباطئاً ، فغاب برهة في
غرفة مجاورة ثم عاد يقول :
— ادخل .

وفتح الباب ودلف إلى الحجرة التي كتب عليها « المدير ،
ووجد « المدير ، قد جلس على مكتب غم ، وقد أحاط
نفسه بأروع مظاهر الأبهة والوجاهة .

وارتبك جمعه ، فلشد ما وجد صاحبه قد تغير ، وبدت
عليه سيما كبار الرجال وأضحى كل ما به وما حوله وما فوقه
وما تحته وجيهاً فعلاً ، اللهم إلا ذلك الوشم الأخضر ، الذي
بدا على ظهر يده .

وتردد جمعه برهة ، ولم يدر كيف يقبل على صاحبه ،
ولا كيف سيتلقاه صاحبه ، ولم يجد خيراً من أن « يسوق
الهالة على الشيطنة ، ويهجم عليه ويأخذه بالحضن ، دون أن
يعطيه فرصة الكبر والترفع .

وانتهى الصاحبان من العناق والتقبيل ، وجلس جمعة
وقد وضع ساقاً على ساق واندفع يذكر صاحبه بما مضى
وبأيام زمان ، ولم يبد على إبراهيم بك أن تلك الذكريات
تسره كثيراً ، وحاول جهده أن يختصر الحديث وأن يقود

جمعه إلى الإدلاء بغرضه الرئيسى من الزيارة .
واسترسل جمعه فى سرد الذكريات قائلا وهو يقهقه
بلا كلفة :

— والله زمان يا وله يا ابراهيم !
وانبعثت من عيني ابراهيم بك نظرة وجلة خائفة مترددة
بين الباب وجمعه .

كان الرجل حائراً فهو لا يستطيع أن ينهر هذا الحيوان
المندفع فى ثرثرته المشثومة الفاضحة لأنه يخشى عواقب هذا
النهر، ويخشى إن أغضب هذا الأحمق أن يمعن فى غيه وتنقلب
ثرثرته البلهاء غير المقصودة إلى ثورة جامحة يثير بها ضجة
كبيرة ، بل ربما اعتدى عليه بالضرب قبل أن يتمكن السعاة
من إنقاذه ، فهو لم يكن يتورع وهو تلميذ عن أى شىء ،
حتى عن ضرب الناظر لو استدعى الأمر ، فما بالك الآن
وبعد أن جاوز التلذة وأصبح كما يبدو متشرداً لا يأبه لعاقبة
ولا يخشى نتيجة !

وابراهيم بك رغم بكويته ورغم العز والسودد والأبهة
والفخامة التى يرفل فى حللها الآن قد وجد نفسه يتضاءل
بخاة أمام هذا المتشرد الوقح فقد نجح فى جره معه إلى الماضى
البغيض فإذا به يشعر أنه قد بات فعلاً الواد ابراهيم الفلاح

وأن الذى أمامه هو الكابتن جمع ، أبو رجل ذهب ،
ذو الحول والطول والشهرة والسلطان .

وهكذا كان من المتعذر . . بل من المستحيل . . وقفه
عند حده . . وإسكاته عن ترديد ذكرياته المزعجة المشينة ،
وكذلك كان من المستحيل أيضاً السكوت على هذا الحال
وتركه يستمر فى اثرته الخطيرة اللانهائية . . لا لأن ابراهيم
يتأذى من سماعها . . فقد كان يستطيع سماعها بسهولة . .
بل ربما لو كانا على حدة لوجد فى ترديدها بعض المتعة . .
ولكن لأنه كان يخشى أن يدخل السكر تير أو أحد الموظفين
بجأة فيصل إلى أسماعه بعض ذلك الهذيان الذى يهرف به
صاحبه .

واستمر جمعه يقول :

— فاكر يا ابراهيم . . أيام ثانوى .

وهمَّ ابراهيم بأن يقاطعه قائلاً :

— فاكر يامى جمعه . . فاكر كل حاجه . . بس مافيش

لزوم للحاجات دى دلوقت . . الله لا يسيئك .

ولكن جمعه لم يترك له الفرصة لمقاطعه فقد استرسل

قائلاً :

— فاكر لما هفتك نفسك على لعب الكوره فرحت

مسينا وقالع البنطلون ونازل الملعب تجرى ورا الكوره
باللباس الطويل الدمور أبو دكه بشر اشيب مدلدله وقعدت
تبرطع زى الخمار الحضاوى . . والتلامذه يسقفوا لك
ويقولوا : الكوره فين ؟ . . جوه لباسه . .

واندفع جمعه فى زوبعة من القهقهة وهو يردد قوله :
— فاكر .

وهز ابراهيم بك رأسه فى يأس واستسلام وقال :
— فاكر ؟

— وفاكر لما

ولكن ابراهيم بك نهض من مقعده جزعا وقال فى توسل :
— ثانيه واحده ياسى جمعه . . جى لك حالا .

ثم أسرع إلى الباب وأبطل منه مناديا السكرتير قائلا :
— يا على افندى ، وحياة أبوك ما تدخلش حد عندى

دلوقت لحسن مشغول شويه مع الأستاذ جمعه .

ثم أغلق الباب وعاد إلى مقعده وقد هداأباله بعض الشيء .
وفرك جمعه يديه ودفع طربوشه إلى الخلف كأنه يستعد

لخوض معركة وعائد ترديد سلسلة الذكريات الممتعة قائلا :
— فاكر يا ابراهيم لما أبوك جاب لك البتاو وقعد

يستناك على الرصيف أمام المدرسة يوم الخميس . . وكان

عندنا ماتش كوره ، وبعدين شيلناه اللبس مع عم عماره
فراش الكوره .. وبعد الماتش لبسناه الفانله المخططه و ..
وأجاب ابراهيم مقاطعاً وهو يتصنع الابتسام :
— فاكّر .. فاكّر .. كانت أيام لذيذة .
وقال لنفسه :

« وبعدين في ابن الكلب ده ... هوا قصده إيه
بالضبط بالفضايح دي ؟ ! مش يتكلم ويرىحني بقى ؟ ،
وهز جمعه رأسه ومصمص شفّتيه مظهر آسفه على
الأيام الخوالي قائلاً :

— حقيقه كانت أيام لذيذه . اللي فات مايتعوضش أبداً .
وانتهز ابراهيم الفرصة وأسرع بتحويل دفة الحديث
متسائلاً :

— وازاي الحال دلوقت ياسى جمعه .. فين أراضيك ؟
وبمنتهى البساطة أجاب جمعه :
— في وش البركه .

— فين ؟ ! ! .

— في وش البركه .

— قصدي بتشغل فين ؟

— برضك في وش البركه .

وأحس إبراهيم بالارتباك والخجل ولم يكن هناك وجه
لسؤاله عما يعمل هناك إذا لم يكن العمل في مثل هذا المكان
ليخرج عن عمالين أشرفهما مشين .

ولكن جمعه ألقاها بلا خجل وبدون أن يوجه إليه
إبراهيم سؤالاً :
— بلطجي .

ولم يعرف إبراهيم بماذا يعلق على قوله ، فلاذ بالصمت
ولم يجد جمعه بداً من أن يعلق هو . . فقال :
— شغلانه مش بطلاله . . مريحه . . أكل ونوم وراحه
وخناقه قول كل شهر مره .
وساد الصمت وكان على إبراهيم أن يقول شيئاً فتسائل
لمجرد الحديث :

— ومبسوط على كده ؟ .
— رضا . . ولو ان اليومين دول الحاله بطلاله ،
وابتديت أزهدق من القعده ، وقلت الواحد لازم يشوف له
شغلانه .

هكذا ؟ . . . إذن لقد وضع الأمر أخيراً . . لقد أتى
جمعه باحثاً عن عمل . . أو هو بالعربي . . يريد الانتقال
من « وش البركة » إلى « مصانع الفيومي » .



وصمت إبراهيم وتظاهر بفحص بعض أوراق أمامه .
وعاود جمعه حديثه قائلاً :

— قعدت أفكر . . أشغل فين . . أروح لمين . .
وبعدين بامسك الجرنان لقيت صورتك فيه . . أقول لك
الحق اتخضيت افكرتها صفحة الوفيات لكن بقرا كده
لقيتك بقيت بيه وبقيت أشيتك رضا . . قلت فرجت . .
مافيش حد حايلني غيرك . . جدع طيب وطول عمرك على
أد إيدينا . . ومش حايصعب عليك تلاقيلنا في الشركة
شغله كده والا كده .

شغله كده والا كده ؟ !! .

وماذا يستطيع مثل هذا الحيوان الآدمي أن يفعل ؟ !
وكيف يأمن لوجوده وهو حريص على ترديد مثل هذه
الذكريات بمنتهى البساطة . . وماذا يفعل إذا فاجأه أمام
العمال بقوله : « فاكرك لما أبوك جاب لك البتاو وقعد على
الرصيف ؟ . . الخ ،

ولكن كيف يتخلص منه ، إنها مشكلة . . إنها مصيبة ،
— كما يقولون — وطبلت على دماغه . . على أية حال . .
ليس هناك من حل الآن . . سوى مداراته ، ووعده بوظيفة
والتخلص منه مؤقتاً حين التفكير في حل له . . فقد يستطيع

أن يوجد له عملاً في فرع في إحدى البلدان وبذلك يضمن بعده عنه ، ولكن أيرضى الكابتن جمع بوظيفة حقيرة خارج القاهرة ؟ .. إنه يبدو كأنما يريد أن يجلس على مقعده هو أو أن يصبح على الأقل وكيل الشركة .

ما علينا . . نبعده الآن بأى وعد نصره به .

وقبل أن يفتح فاه ، برق في ذهنه خاطر مفاجئ ، وجد فيه حل لمشكلة مستعصية ، حل يضرب به عصفورين بحجر . تذكر أخته زكية العانس .. التى تنغص عليه حياته بطول شكواها من قلة الجواز وميلة البخت . . والتى لا تكف عن العراك مع زوجته حتى كادت تتسبب لهما فى الطلاق بضعة مرات دون أن يعرف كيف يتخلص منها . . بعد أن عجز تماماً عن إيجاد عريس لها .

هذه فرصة سانحة لصفقة رائعة ، فجمعة لوهداه الله سيكون خير عريس لأخته زكية ، وليس أنسب من هذه اللحظة لانتهاز الفرصة والمقايضة بالوظيفة على زكية .

ووضع إبراهيم ابتسامة عريضة على شفثيه وهز رأسه وقال فى لهجة شديدة النعومة :

— ياسلام يا كابتن جمعه ، إحنا ديكي الساعة لما تقبل تشتغل عندنا .. داشرف كبير للشركة .. دى خطوه عزيزه

يا بوجل دهب .. أنا من زمان نفسي أشوفك .. عشان
نعيد أيام زمان .

وانتفخت أوداج جمعة وازداد اتكاء على كرسیه
وأجاب بقوله :

— أنا برضك عارف كده .. عارف إن أملي مش
حايخيب فيك أبداً إنت طول عمرك ولد طيب وابن حلال .
ولد ؟ يا بن السكلب ؟ !! البكوية اللي دفعت فيها سبعة
آلاف جنيهه مازالت ساخنة وتقول لى ولد ؟ .

ولكن صبراً .. لا بد من تحملك فى سبيل التخلص من
زكية وبلاويها .

واستمر ابراهيم فى قوله :

— الشرکه تحت أمرک ، أنا حاشوفلك وظیفه عال
تناسبك کویس .. بس ...
— بس إيه ؟ .

— بس إياك ربنا يهدیک ویتوب علیک من السیره اللى
انت فیها .. ویلک على بنت الحلال .. وتستکن فى بیت
نضیف ظریف .

— یاریت یا ابراهیم یا خویه .. فین بنت الحلال اللى
ترضى بی .

- ليه هو انت وحش .. دانت لقطه .
- على العموم لما نترستا فى الوظيفة يبقى يحلها المولى .
- المولى حالها والأشيا معدن .. والوظيفة موجوده
وبنت الحلال موجوده .
- بنت الحلال ؟ انت بتتكلم جد ؟ .
- وأبو الجد .
- إزاي بقى ؟ .
- زى الناس .. انت مانتاش غريب انت زى أخويه
وانا طول عمرى أودك وأحبك ، واهى فرصه تناسب فيها
ونخلي زيتنا فى دقيقنا .
- ولا أنا فاهم حاجه .
- ودى حاجه عايزه فهم .. أنا عندى أخت هديه ..
إياك ربنا يجعلها من نصيبك .
- أختك انت ؟
- وظل جمعه محملاً بعينه فاغراً فاه .. وأخت ابراهيم ،
تطن فى أذنيه وتدور فى رأسه .
- عجبة ؟ .. يتزوج أخت الواد ابراهيم الفلاح ؟ ..
أستغفر الله .. بل أخت ابراهيم بك الفيومى ؟ .
- من يصدق أن الزيارة كان يمكن أن تنتهى إلى مثل هذا

لقد أتى يطلب وظيفة ، فخرج بوظيفة وعروس ، صدق
من قال ، الفقى لما يسعد تجى له خاتمتين فى ليله ، .

وكان لابد من مرور فترة من الوقت حتى يهضم المفاجأة
وتخف الصدمة وتهدأ النفوس وتستقر الفكرة فى الرؤوس .
ولم تكد تمر الفترة المطلوبة ، ولم يكد يقلب جمعه
الفكرة فى رأسه ، ويجدها فرصة العمر حتى قفز من مكانه
وهجم على ابراهيم يحضنه ويقبله ويصيح به :

— يا سلام يا ابراهيم ، أنا طول عمرى قلبى يحبك ،
وياما كنت أقول لهم الواد ابراهيم الفلاح ده ، حقيقى غي
وحمار ، لكن ابن حلال مصفى .

وأخيراً غادر جمعه المكتب بعد قراءة الفاتحة ، وبعد
أن اتفق معه على زيارة منزلية يتم فيها اللقاء والاتفاق
على بقية إجراءات الزواج .

وخرج جمعه يسير مترنحاً نشوان وكأنه رأى ليلة القدر
ولكنه تذكر فجأة ما أنزله من علياء أوهامه وأحلامه ،
وما ملأه غماً وهماً .

تذكر سنه بعزق !

ماذا يقول لها وكيف يتخلص منها ؟ . كيف يخبرها أنه

سيتزوج ؟

ولاح له الحل السعيد فانبسطت أساريه مرة أخرى ،
المسألة بسيطة ، بل غاية البساطة . ليس عليه إلا أن ينبئها أنه
وقع في صيدة غنية بجبوحه ، يستطيع أن يستنزف منها
ما شاء من النقود ، فتبهر لكليهما حياة سعيدة ، وأنهما لن
يصيبهما ضحك بعد الآن ، بعد أن عثر على ذلك البنك
المتدفق نقوداً .

وعاد جمعه إلى صاحبه وروى لها القصة كما حورها في
ذهنه وأنبأها أن علاقتهما ستظل كما هي لن يصيبها وهن وأنها
ستبقى هي الكل في الكل ، أما الأخرى فلن تكون أكثر
من مورد للبال .

وتقبلت سنية الأمر مستسلية ، مصدقة ، فما كانت تملك
أمام جمعه سوى التصديق والاستسلام ، بعد أن عاهدتها أنها
ستظل خليلته مهما حدث .

وبعد يومين ذهب جمعه إلى بيت إبراهيم مرتدياً حلة
جديدة اشتراها بعد أن باع بعض حلى سنيه .
ووقف أمام البيت الفخم يقرع الجرس وبعد برهة أطل
الخادم النوبي . فسأله في تأدب :

— إبراهيم يه موجود؟

— لا... خرج .

— راح فين ؟ .

— المستشفى .

— المستشفى ؟ ليه كنى الله الشر ؟

— عشان الست أخته حاتعمل عملية .

عملية ؟؟ وامصيبته . . حقاً قليل البخت يلاقى العضم
فى الكرشة .

أية عملية هذه التى قد استحكت الآن . . ألم يكن من
الممكن تأجيلها حتى يكتب الكتاب ويصبح وريثها الشرعى ؟
والمصيبة العظمى . . أن ، تحبك ، المسألة . . وتموت فيها .
أهناك أسوأ من هذا خطأ ؟ .

تظل المرأة . . على قيد الحياة . . لا يقربها الموت . .
طيلة هذا العمر المديد . . فلا تكاد تستحل له . . ولا يكاد
يهم بالتهامها . . حتى تعمل عملية وتموت .
ولكن ما الداعى لهذه الوسوس . . إنها ستشفى
ياذن الله . . إن الحظ قد واثاه ولن يغادره بعد ذلك .

وأخذ جمعه أقرب ترام ، وبعد نصف ساعة كان يجلس
فى المستشفى ضمن الأهل والأقارب والأصدقاء . . وقد
جلس منتفخاً على أحد المقاعد كأنه الديك الرومى . .
ولم لا ؟! أليس هو أقرب الناس إليها ؟. أليس هو زوجها
فى خلال أيام ؟

وطالت العملية .. وجمعه يدعو من قلبه أن يكلاها الله
بالعناية ... على الأقل حتى يتم الزواج ... وبعد ذلك
ليأخذها وقتما شاء وكيفما شاء .
وأخيراً انتهت العملية .

ترى ما النتيجة ؟ !! خير يارب خير .
ولكنه لا يرى على الوجوه المتجهمة أى خير .. إنه
يسمع همهمة ودمدمة وتساؤل .. إن سيماهم لا تنذر
إلا بالسوء .

ويحه !! أترى المرأة قد فعلتها وماتت .. من سوء
بخته .. ولكنه لا يسمع صواتاً ولا يبصر دموعاً .. إذا
كانت قد ماتت أفلا أقل من بعض النهنه أم ترى البكاء محرماً
فى المستشفيات ؟

وأخيراً لم يطق الانتظار .. وكاد القلق والشك يقتلانه
فاندفع إلى أخيها إبراهيم الفيومى العابس الوجه المقطب
الجبين وانحنى به ناحية قصية وسأله فى لطفة :

— إيه يا إبراهيم ؟ ! فيه إيه .. إزاي الحالة ؟
وأطرق إبراهيم برأسه ثم اقترب بفمه من أذن جمعه
وهمس بعض كلمات .

ولم يكده جمعه يسمع الهمس حتى انطلقت منه صيحة

لم يستطع كتمانها ووقف برهة واجماً ذاهلاً كأنما قد نزل عليه
مهم الله .

وأخيراً أفاق لنفسه وغادر المستشفى وهو يهز رأسه
حزناً وأسفاً وقد بدت عليه أقصى آيات الحيرة والفشل .

ووصل إلى سنية بعزق فأذعها مظهره اليأس البائس ،
وأقبلت عليه تسأله في دهش :

— إيه الحكاية ؟ مالك . . كنى الله الشر . . قوللى
حصل إيه . . طردوك ؟ .

— لا .

— آمال إيه ؟ .

— رحت لقيت العروسة فى المستشفى بتعمل عمليه .

وضربت المرأة بيدها على صدرها :

— وبعدين . . يانداه . . جرى لها إيه ؟

وأجاب جمعه وهو يهز رأسه أسفاً :

— ولا قبلين . . قليل البخت يلاقى العضم فى الكرشه .

خلاص . . طارت .

— طارت ؟

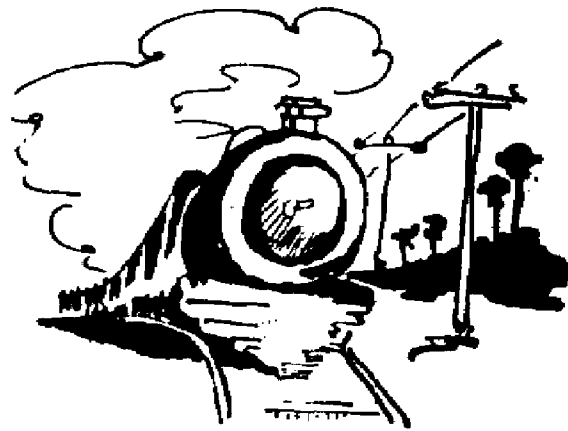
— أبوه طارت . . برمت .

— يعنى إيه طارت وبرمت ؟

- يعنى طارت من إيدى وبرمت من الجواز .
 — قصدك ماتت ؟
 — ما ماتتشر ولا حاجه .
 — أمال جرى لها إيه ؟ فهمنى . . غلبتنى .
 وصمت جمعه برهة ثم أطلق زفرة حارة ملؤها اليأس
 وقال فى أسى :
 — قلبت راجل .
 — قلبت إيه ؟
 — راجل .
 — مش ممكن . . .
 — اللى حصل . . قعدت أربعين سنه نتايه . .
 ما حللهاش تنقلب ذكر إلا لما خطبتها . . مش بقول لك قليل
 البخت يلاقى العضم فى الكرشه . . أربعين سنه وهما يقولوها
 الست زكيه . . يوم ما نويت أخطبها دخلت المستشفى . .
 وطلعت زكى أفندى . . بس أعمل إيه فى الفقر الذكر اللى
 مش عاوز يحل عنا ؟
 — ولا يكون عندك فكره . . مره . . راجل مش
 حايئند منا أبداً . . إذا كان حايرجع مره أهو من قسمتك . .
 وإذا استمر راجل . . مانيش عاتقاه .

الاستاذ شملول

لم يكن هناك ما يدعو شملول الفندي الى
التفكير في الرحيل ، أو المغامرة ، وهو القعود
الكسول البطيء ، الحركة . . الذي كلف عن
الزهوة . . منذ مشوار « جنينة الزهوة » . .
والذي كانت أنهي متعته الجلوس على قهوة
الانفراج القائمة على ناصية الشارع حيث يلعب
« عشرة طاولة » ويشد أنفاساً من الشبشة .



قرر شملول افندى الرحيل .

وأخيراً لقد كانت المسألة بالنسبة إليه مغامرة كبرى تحتاج منه إلى كثير تروٍّ وتفكير .

ومع ذلك فقد قرر ، وانتهى الأمر .

حرام عليه أن يضيع عمره سدى . . ماقيمة الحياة إذا جرت على هذا النمط البليد المتكرر المتشابه ؟
من يصدق أنه قد بلغ الأربعين دون أن يغادر القاهرة مرة واحدة ؟

أربعون عاماً قضاها في ذلك النطاق الضيق بين الناصرية والسيدة وشارع خيرت والدواوين .

في طفولته . . كان مجال حركته وغدواته وروحاته لا يتعدى شارع الناصرية . . ففيه كان البيت وفيه كان الكتاب ، وفيما بينهما كانت تقع كل أمانيه وأقصى مطالبه من المقلّة . . إلى بائع الكشرى . . إلى بائع البخت والإمامير .

إنه لا يذكر أنه قد تعدى شارع الناصرية إلا مرتين . . مرة كستكشف . . حيث دفعه دافع الفضول وحب المغامرة والشقاوة إلى أن يتجاوز الكتاب ، ويندفع إلى

أقصى الشارع حتى بلغ شارع الكومي وتطلع يبصره إلى
مجاهل ميدان السيدة ورأى بعيني رأسه المئذنة والترام
وأبصر الناس .. يغدون في الميدان ويروحون غير هيايين
ولاولجلين ، وأتم المغامرة بشرائه قطعة من « حلاوة زمان ،
الملفوفة على العصا الطويلة ، وأخيراً عاد إلى بيته سالماً آمناً .
تلك كانت المرة الأولى .. أما المرة الثانية فقد كانت
في العيد .. حيث خرج هو وأخته نفيسة وخاله عبدالصبور
وقد لفوا العيش والسّمك البكلاه في صرة كبيرة ، قاصدين
إلى « جنينة النزهة » .

ومن يومها .. لم يذهب إلى نزهة قط .. لقد كانت
جنينة النزهة تقع في حي جاردن سيتي ، وقد تبدوا المسافة
بينها وبين الناصرية الآن بعد أن كبر .. مسافة معقولة
لا يصعب قطعها سيراً على الأقدام .. أما يوم ذاك وهو
يعتبر ميدان السيدة في أقصى الأرض ، فقد كانت جنينة النزهة
أبعد من الجوزاء .. لاسيما وقد كان الحذاء جديداً عقر
قدمه ، وأجبره على العودة حافياً .

وفي الصبا والشباب والكهولة .. لم يضطره شيء إلى
الخروج عن نطاقه الضيق المحدود بين الناصرية والسيدة ،
إذ لم تكن مدرسة الناصرية الابتدائية أبعد من الكتاب ،

وكانت مدرسة رقي المعارف وغيرها من المدارس الأهلية
الثانوية التي تنقل بينها لا تتعدى ميدان السيدة ، وحتى بعد
أن فشل في المدارس وتاب عليه ربنا من تعب الدراسة
وقرف الامتحانات ورزقه بابن الحلال الذي سعى إلى
توظيفه .. كان مقر عمله لا يتجاوز شارع الدواوين .
واستمر راقداً بين جدران أرشيف وزارة المالية عشرين
عاماً .. كأنه خطاب حكومي عاجل !! أأمر بتركه يا رب
ولم يكن هناك ما يدعو شملول أفندي إلى التفكير
في الرحيل أو المغامرة ، وهو القعود الكسول البطيء
الحركة .. الذي كف عن الزهدة ، منذ مشوار «جنيمة الزهدة»
والذي كانت أقصى متعته الجلوس على قهوة الانشراح
القائمة على ناصية الشارع حيث يلعب عشرة طاولة ويشد
أنفاساً من الشيشة .

ولقد قضى الرجل حياته عزباً .. لمجرد أنه يكره التغيير
من حال إلى حال ، واستمر يعيش مع أمه وأبيه بنفس
الوضع والكيفية التي كان يعيش فيها وهو طفل في الكتاب
وعلى ذلك فيمكننا أن نرى مبلغ وقع المفاجأة في نفس
والديه عندما انبأهما ذات يوم أنه سيسافر .
لقد ضربت أمه يدها على صدرها وصاحت مذعورة

— مسافر .. برّه وبعيد .. تف من بقلك سبع تقات .
إيه ياخويا الكلام اللي زى السم اللي صابح تقوله ع الصبح .
— يام مسافر أتفسح .
-- تنفسح ؟ ! وهوّا انت ناقص فسحه ، مانت طول
النهار قاعد على القهوة .

— رايح اشم الهوا .. أغير مناظر .
— ياخويا اتخط .. آل مسافر يشم الهوا .. وهى
مصر ضاقت ، عندك أم الشعور ، عندك سيدى أبو السعود ،
كل ده مش مقضيك ؟

— أنا معزوم عند واحد صاحبي فى المكتب ، ساكن
فى قليب ، فى بيت وسط المزارع والخضرة ، وبقاله آدى
ست اشهر يلح علىّ عشان أقضى يوم عنده .. نصطاد سمك
ونركب خيل .

— أصلك شملول قوى .. وصيد السمك لزومه إيه ؟
وهو السمك اللي عند عبد المعطى وحش .. اقعد وأنا أبعت
أجيب لك حنتين جزل على حنتين بياض تاكل صوابك
وراهم .

— مش الغرض يام ..
— أمان إيه ياد لعدى ؟

— الواحد عايز يغير شويه . . عايز يجرى بين الغيطان
فى الشمس والهوا . ويقعد على الترعه يشم النسيم ، ويتمتع
يوم فى العمر بحياة الريف .

— يا بنى اعقل ، دانت عمرك ما عتبت برّه الشارع .
— عشان كده عايز أسافر . . حافظل طول عمرى
كده محبوس فى الناصرية !! يا شيخه حرام عليكِ دانا عمرى
ماركبت قطر سكه حديد .

وهكذا أصر شملول على السفر واعتبر المناقشة التى
جرت بينه وبين أمه بمثابة استئذان فى السفر ، وذهب إلى
الديوان وبنتفسه إحساس المقدم على أمر جلل ، ولم يكده
يلتقى بعلى افندى القليوبى حتى ساق إليه النبأ الخطير
وهو أنه قد اعزم أن يلبي مطلبه وأنه سيسافر إليه اليوم
بعد الظهر ، ويبقى عنده ليلته ويقضى يوم الجمعة بأكمله ثم
يعود فى المساء .

وانتهى موعد العمل وذهب كل منهما إلى داره بعد
أن اتفق مع القليوبى على أن ينتظره فى المحطة حتى يقوده
إلى البيت الذى يبعد بعض الشيء عن المحطة وسط المزارع .
وعاد شملول إلى داره وأخذ يكوم ملاسسه فى إحدى
الحقائب القديمة ، وأمه تنظر إليه فى دهشة وتساؤل :

— يابني ليه دا كله ؟

— مين يعرف .. أهو من باب الاحتياط .. يمكن
الواحد يعوز غيار والا حاجه .

— هى مش ليله اللي انت ناوى تقضيها ؟

— أيوه ليله ، لكن الواحد لازم يعمل حسابه دائماً ،
ده سفر .. انت مستهونه بالسفر .. يمكن القطر بتعطل
فى السكه ، أو يمكن المواصلات تنقطع بين مصر ،
وقليوب .. مش جاز .. مش برضه الواحد يعمل حسابه .
وهكذا غادر الدار وقد حمل الحقيبة ، وارتدى معطفاً
أبيض كان لأبيه فى سالف الزمن .. واغرو رقت عيناه
وهى تودعه وتقبله ، وجلس أبوه على سجادة الصلاة ،
يضيف إلى استغفاره من سابق ذنوبه دعوات لتحفظ ابنه
وتعيده من سفره بالسلامة .

وسار شملول افندى بهيكله القصير النحيل ، وأشداده
المطبقة ، وأجفانه الغائرة ، وقد نفخ صدره ورفع رأسه ،
وأخذ يخطأ فى مشيته بين أهل الناصرية .. ولم ينس أن يمر
على المقلة فيملاً جيوبه باللب لكي يستعين بقزقزته على طول
السفر ، وابتاع رطلين بسبوسة من أبو على الحلوانى ، حتى
لا يدخل على صاحبه ويده فارغة .. ثم تلى كذا فى طريقه برهة

امام المعلم كرشه الجزار ، وصاح به بصوت عال أن يؤجل إرسال الممبار والمخ إلى الجمعة القادمة لأنه مسافر ، وكرر كلمته مسافر بضع مرات حتى سمعتها زكيه بائعة الفجل .. التي كان بينها وبينه استلطاف خفي متبادل .

وخرج صاحبنا من حي الناصرية منتفخ الأوداج كأنه ذاهب إلى ميدان قتال ، ووقف في شارع خيرت ينتظر ترام نمرة ١٢ الذاهب إلى المحطة ، ولم يطل به الا انتظار حتى استقر على مقعد الترام بجوار السائق .. وزمَّ الكسارى وانطلق الترام في سيره .

وشيثاً فشيثاً بدأت الشجاعة تتبدد والهمة تزول ، ولم يكد الترام يتجاوز ميدان لاظو غلى حتى أحس برهبة شديدة وبدأ يستعرض في ذهنه الأخطار التي يمكن أن يمر بها ، والمهالك التي يوشك أن يتعرض لها .

ألا يحتمل أن يكون قد ركب الترام خطأ .. وقد يحمله إلى حيث لا يريد ؟ ! حقيقة أنه قرأ رقم ١٢ ، ولكن من يدرية أن بصره لم يخدعه ؟ وعلى أحسن الفروض أنه قد أصاب الترام المضبوط ، ماذا تراه فاعلا عندما يلقي به الترام في باب الحديد ، ذلك الفضاء الواسع المضطرب ؟ وبدأ يتصور جرائد الصباح وقد كتب على رأسها بالخط

العريض الأحمر ، موظف بأرشفة وزارة المالية .. بضل
فى باب الحديد ، .. يا للنجل ! ويا للكارثة ! .. ولكن ..
لا .. لا .. لا بد أنه سيجد من يدلّه .. حقيقة أنه ينجل من
السؤال ، ولكن لا بد له منه .

ووسط هذه الهواجس والأوهام ، وجد الترام يقف
جأة فى باب الحديد .. أجل ! هذا هو تمثال نهضة مصر ..
وتلك هى ساعة المحطة .

واندفع شملول افندى من الترام كالقذيفة ، خشية أن
يتحرك الترام قبل أن يهبط منه .. ولم يجد هناك معنى لمخاوفه
السابقة ، والمحطة أمامه تكاد تصرخ قائلة ، أنا المحطة ، ..

ولكن المشكلة الكبرى .. كانت فى كيفية العثور على
القطار الذاهب إلى قلوب ، وفى كيفية قطع التذكرة ..
إن هذه مسألة فى منتهى الخطورة .. فليس بمستبعد أن
يركب قطاراً خطأ ، يلقى به فى غياهب القطر المصرى ..
وليس بمستبعد كذلك أن يذهب إلى شباك الدرجة الأولى
فيلهف بائع التذاكر الجنيه الذى يملكه ويعطيه به تذكرة
درجة أولى .

إن المسألة تحتاج منه إلى منتهى الحرص والتروى .
لعنة الله عليك يا قلوبى .. ما كان أغناه عن مثل هذه

المرمطة والبهدة واللخمة .. لو لم يغرّه بتلك المخاطرة لكان
الآن مستريحاً في قهوة الانشراح .. يسترق البصر إلى زكيه
بائعة الفجل .

وبستر من الله وجد نفسه أمام شبّاك الدرجة الثالثة
لقطار بحرى المار بقلوب ، وبفضل الله وجد نفسه يستقر
على أحد مقاعد الدرجة الثالثة بجوار النافذة ، وقد أخذ قلبه
يدق خشية ونشوة وطرّاً .

أحمد لله .. جت سليمه .. إن المسألة في غاية السهولة .
وتحرك القطار ، ومرة أخرى بدأ الخوف يداخله ..
وساءل نفسه ماذا يكون العمل لو لم يتوقف القطار في قلوب
أيقذف بنفسه منه وهو سائر ؟ أم يعدو إلى السائق ويأمره
بالوقوف .. أم يسلم أمره لله ويذهب مع القطار إلى حيث
يذهب ؟

على أية حال .. لو قدّر الله وحدثت الكارثة ، فإنه لن
يغادر القطار حتى يعيده إلى القاهرة .

أجل ! هذه أضمن العواقب ، فإن القطار لا بد عائد ..
إن آجلاً أو عاجلاً ، إلى مقره بالقاهرة .

وأحس بالطمأنينة تعود إلى قلبه ، وبدأ يستعرض في
ذهنه المتع التي يوشك أن يحصل عليها ، ويتصور نفسه وقد

ارتدى الشورت والقبعة وأمسك بالسنارة ، وجلس على شاطئ التربة يصطاد .. ثم يتصور نفسه وهو راكب صهوة جواد ينطلق به بين الحقول .. يا ليت زكية بائعة الفجل تراه وهو فى هذه « الأملة » .. ولكن هب الحصان قد جمع به فأوقعه فى التربة .. ثبات غرقاً .. لا .. لا .. لا داعى للحصان .. إنه يستطيع أن يدعى أنه قد ركبه .. دون أن تكون به من حاجة إلى ركوبه فعلاً .

أجل ! .. لا داعى هناك لأن يلقى بنفسه إلى التهلكة .. ما دام يستطيع أن يكذب ويبالغ ويؤلف ما شاء من المغامرات والأقاويص .

ولكن يجب عليه أن يرقب المحطات جيداً .. يجب ألا يترك ذهنه يشرد به فيضيع عليه المحطة .

« قلوب » .. أجل هذه قلوب .. الحمد لله ، إن المسافة قصيرة جداً ، أقصر مما كان يتصور .

وقفز من مقعده وتناول الحقيبة ، واندفع يعدو من القطار إلى رصيف المحطة .

ووجد القليوبى فى انتظاره فأقبل يصاحفه فى شوق كأنه لم يره منذ سنين ، وهز رأسه فى إعجاب وتقدير وقال ببساطة « رحلة لطيفة ، مش بطالة » ، ووضع يده فى ذراع صاحبه

وهم بالسير . ولكن صاحبه لم يتحرك ، بل بدا عليه التردد
وأخذ يهمهم في اعتذار ، ثم بدأ يفصح عن مهمته قائلاً :
— أنا متأسف أوى يا شملول افندى . . لأنى مضطر
استأذن منك ، علشان انزل مصر . . لأن اختى بعثت لى
عشان اروح لها حالا . . على العموم أنا مش حاغيب عليك
يعنى بالكثير قوى خارج تسعه مساء ، وانت مش غريب .
البيت بيتك . . خد حريتك خالص . . أنا حاوصلك للبيت
وأديك المفتاح وارجع علشان ألحق القطار النازل على مصر .
وبوغت شملول افندى من قول صاحبه . . وبدأ عليه
التردد ، وهم بأن يطلب منه العودة معه ، إذ وجد المسألة
قد أضحت مغامرة فعلا .

ولكن ماذا يقول ؟

يقول إنه يخاف أن يمكث فى البيت وحده ؟

لا . . لا . . يجب أن يكون أشجع من ذلك ، وأثبت
جناناً . . ماذا عليه لو بقى وحده حتى يعود صاحبه ؟ ! ثلاث
ساعات ليست بالشئ الكثير . . ثم إنه ليست هناك عقاريت
ولا غيلان فى قلوب .

وهكذا سار مع صاحبه ، وبدأ الاثنان يتوغلان فى
الممرات الضيقة بين المزارع ويدوران يمنة ويسرة حتى توقفا

أخيراً أمام بيت أبيض متواضع أشبه بالمنادر ، وقد ألحق به فناء خلقي وضعت به بعض الأقفاص الفارغة ، وتكعيبة عنب ، وبرج حمام مهجور .

وخذل شملول من منظر البيت ، وكانت الظلمة آخذة في الانتشار ، والضوء الباهت يتبدد ، والمكان قد لفته وحشة وسكون .

ولم يكن هناك مجال للتردد ، فقد سلمه القليوبى المفتاح في يده وقال له « البيت بيتك » ، وانطلق يعدو إلى المحطة .
ما شاء الله ، من يستطيع أن يتصور هذا ؟

أهكذا يتقف وحده .. وسط تلك القفار الموحشة ..
والظلمات المدلهمة ، وهو غريب ، وحيد ؟

حتى الخادم قد أنبأه صاحبه أنه سيحضر بعد برهة . .
ولكن من يدري إنه قد لا يحضر البتة !

وأحس بخوف شديد ، ولم يجسر على أن يدخل البيت بل أخذ يتجول حوله .

وصمم على أن يبقى خارج البيت حتى يأتي صاحبه ، ولكن تذكر فجأة ، ذلك الغول الذي قرأ عنه في الصحف والذي يخرج من المزارع ويهجم على الفلاحين يوسعهم عضاً ونهشاً فأصابته رجفة ، وتخلخلت ساقاه واندفع إلى باب البيت

ففتحه وتسلل إلى الداخل . . وأغلق الباب خلفه بشدة .
ورمى الحقيبة من يده ، وأقبل على مصباح الغاز المعلق
في الحائط فرفع الشريط ، وارتدى على أقرب مقعد يرتجف
من الخوف .

كيف غاب عنه هذا الخطر الداهم ؟ لو لم يتذكره لظهرت
الجرائد صباحاً . . ولا شغل لها سوى . . قتل قلوب ،
ثم أخذ يسطر في مخيلته نبأ الحادث .
« . . خروج وحش قلوب . . وقتله بأحد موظفي
وزارة المالية . . »

بينما كان الأستاذ جمعه عبد الجواد شملول يقضى عطلة
نهاية الأسبوع في عزبة صديقه الأستاذ على القليوبي . .
خرج يتجول ممتطياً صهوة جواده (هذا أهم ما في الأمر . .
حتى تعرف زكيه أنه كان يركب جواداً) . .

وهنا شرد ذهنه فترك مسألة وحش قلوب وانطلق إلى
زكيه . . ترى ماذا ستفعل عند ما يبلغها نبأ موته . . أترأها
ستبكي ؟ لقد كانت جلستها بالأمس هائلة ، وقد تعرى باطن
نخدها . . إنها لاشك تقصد أن تغريه ، ولكن ماذا يستطيع
أن يفعل هو . . هل يغمز لها بعينه ؟
وجأة وصلت إلى أذنيه طريقة شديدة . . كأنها صوت

سقوط جسم ثقيل ، فقفز من مقعده ، وأخذ يدور حول نفسه ، وهو يلث ويردد مرتجفاً ، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه ليلة يعلم بها ربنا .

ولم يعد هناك مجال لأخاذ زكيه ، فقد احتشد في ذهنه كل ما يمكن من التصورات عن حقيقة مصدر الصوت .
هل هو الوحش ؟
من بدرى !

وتذكر قصة بوليسية كان قد قرأها في رواية الجيب . .
وتذكر كيف جلس بطل القصة في كوخ موحش منعزل . .
وكيف كانت الريح تصفر من حوله ، ثم سمع وقع أقدام تقترب من الباب ، ثم صوت أنفاس تتردد لاهثة في خوف وصوت شيء ثقيل يصطدم بالباب ، ثم سمع وقع الأقدام تبتعد هاربة . . فأخذ يقترب من الباب في خوف ، فلم يسمع شيئاً . . ففتحه في رفق وحذر . . فإذا بجسد قتيل يهوى عليه .
ترى ماذا يفعل هو لو حدث له مثل هذا الأمر وما ذلك على هذه الليلة بعيد ؟

وعاد ذهنه يسطر نبأ الحادث كما سيقراً بجرائد الصباح :
« موظف يرتكب جريمة قتل في دياجير الظلام ! ،
أجل ! إنه سيقتلهم بالقتل ، وهو لا يكاد يقوى على قتل

دجاجة .. وكيف يستطيع أن يثبت أنه غير قاتل .. والجثة
منقاة في فناء البيت ، ولا يوجد في البيت سواه .

وأخذ قلبه يدق في عنف .

لا بد له من أن يغادر الدار ، حالا .

ولكن كيف يستطيع أن يخرج ؟ أيجسر على الخروج
من الباب ؟

وإذا سقطت عليه جثة القتل ؟ ماذا تراه فاعلا ؟

لا .. لا ..

يجب أن يخرج من النافذة .

هذا هو خير طريق للنجاة .

وتلفت حوله ، فوجد أمامه نافذة زجاجية .. وأسرع

فحمل المصباح في يده وأخذ في الاقتراب منها .

وفجأة ندت عنه صرخة مدوية .

هذا هو !! معلق في النافذة .

القتيل بعينه .. أو ربما القاتل .

أجل .. أجل .. لا بد أن يكون أحدهما .

وإلا فمن يكون هذا الذي تدلى ساقا بنظونه وأخذتا

تأرجحان وراء زجاج النافذة .

والآن .. ما العمل ؟ .

إنه ضائع ضائع . . فهو إما أن يكون قاتلاً أو قتيلاً .
إذا كانت ساقا البنطلون المتدليتان ساقى القتييل فهو لابد
أن يكون قاتلاً ، وإذا كانتا ساقى القتاتل . . فعليه العوض .
لقد انتهى .

الله يرحمك يا شملول . . ليتك سمعت كلام أمك وقنعت
بقهوة الانسراح .

ونجأة سمع طرقاً على الباب .
انتهى !! لقد وضع الأمر . . لاشك أنه القتاتل . .
وتهاوى على المقعد فى شبه إغماء .
وعاد الطرق يزداد فى إلحاح . . فأجاب فى صوت
محتق مكبوت :

— مين ؟

ومن وراء الباب سمع صوتاً نسائياً يقول :
— افتح يا على افندى .

من ؟ !! امرأة ؟ . . كيف !! وماذا أتى بها فى هذا
الوقت الحافل بالأحداث ؟ ! أتراها هى القتالة ؟
وتذكر ربه وسكينه ، ونهض من مقعده وأخذ يقترب
من الباب على أطراف قدميه . . ثم وقف وراء الباب وأخذ
يتساءل فى صوت مرتجف :



- مین ؟ . انت مین ؟
- انا سکینه ؟
- سکینه ؟ !! أجل . . هی بعینها .
- وعاد یسأل فی رعب :
- انت لوحدك . . والا معاك ریه ؟
- ریه مین یاسیدی ؟ . سلامة عقلك .
- انا سکینه خدامة أختك بهیه .
- أختی أنا . . انا مالیاش أخت .
- یوه . . مالکش أخت ازای ؟
- انت عایزه مین ؟
- عایزه علی افندی القلیونی .
- خرج .
- إمال انت مین ؟
- واحد صاحبه .
- طیب افتح .
- مافتحشی .
- یاسیدی افتح . . الواد علی دراعی باخد برد .
- واد مین ؟
- ابن اختك . . قصدی ابن اخت علی افندی .

— ما فتحتنى أبداً .. إلا لما اتاك من أخينا اللي
متشعلق على الشباك اللي جنبك .

— بسم الله الرحمن الرحيم ، متشعلق على الشباك اللي
جنبني ؟ أنا ماش شايفه حاجه ؟

— أنا شايفه .. قربي شويه من الشباك وانت تشوفي ،
هيه ، شوفت ؟ . لقيت إيه ؟

— يوه ياسيدي خضتني وكركيت بطني ، ده منطلون
سي على منشور .

وهكذا اطمأن قلبه ، فأقبل على الباب يفتحه ، ووجد
الخادمة تحمل ابن أخت صاحبه .

ودخلت الفتاة فوضعت الطفل على إحدى الأرائك ،
ثم سألته :

— أمال فين على افندي ؟

— سافر مصر .

— يعمل إيه ؟

— أخته طلبته في حاجه ضروري .

— أخته ؟! وانت هنا بتعمل إيه ؟

— بتفصح .. بقضى ليله أنس وطرب .. اتفضل ،

وانت إيه اللي جابك هنا انت والولد ؟

— أصل الجماعه جاين يقضوا المليه هنا . عشان
يتفسحوا بكره فى المزارع . عن إذنك ياسيدى ، أنا رايحه
المحطه أجيب الشنط . . خد بالك م الواد .

— تعالى هنا ، واد إيه اللي آخذ بالى منه ؟ أنا معرفش
فى الولاد أبدأ ، تعالى أنا فى عرضك .

ولكن سكينه انطلقت من الباب ، ومرة أخرى وجد
نفسه وحيداً فى البيت . لا يؤنس وحشته . . سوى الطفل
الراقد . . .

ما شاء الله . . أما ليله !

وارتمى مرة أخرى فى مقعده ، وهو يرمق الطفل
بنظرة شك وخوف .

لا بأس عليك . . المسألة ان تزيد على خمس دقائق تحضر
بعدها سكينه والقافلة كلها ، ويستطيع هو أن يعود إلى داره
آمناً مطمئناً .

ولكن الخمس دقائق مرت . . دون أن يحضر أحد .
ومرت بعدها ساعة ونصف ساعة ، وهو جالس يحملق
فى الطفل وبدأ الطفل يتقلب على جنبه ثم فتح عينيه وأخذ
يرمق شملول أفندى ، ثم انطلق فى نوبة بكاء وصراخ .
بس . . بس . . هوه . . هوه .

وهكذا أراد أن يهدي الطفل عبثاً .
لا .. إن الأمر لا يحتمل . يجب أن يخرج ليرى أين ذهبت
الخادمة اللعينة .

وفتح الباب وأخذ يتحسس طريقه في الفناء . . ولكنه
أحس بقدمه تصطدم بجسد لين .
آه . . إنها جثة . . هذه المرة لاشك فيها . . إنه القتيل .
الذى سمع صوت سقوط جثته منذ ساعتين .

واندفع يعدو إلى داخل الدار وأغلق الباب بشدة
وارتمى على المقعد لاهثاً .

والآن ماذا يفعل ؟ إنه لا يستطيع الخروج . أبداً !
هذا القتيل يجب أن ينتظر إلى الصباح حتى يكتشفوا أمره
وليصرخ الطفل كما شاء !

وأغض عينيه ودفن وجهه في كفيه .

ومرة ثانية سمع طرقاتاً على الباب .

من ؟ ! من يكون هذه المرة ؟

سكينه ! !

ربما . . .

وبصوته المرتجف صاح من وراء الباب :

— مين ؟

فأجابه صوت أجش عميق :

— أنا .. افتح .

لا .. لا .. إنه لن يفتح أبداً .

وعادت الطرقات تزداد ، وصاح الصوت الأجش :

— افتح .. افتح .

وانكمش في مقعده ، وعلا صراخ الطفل ، وبدا كأن

صاحب الطرقات قد يئس .. فانصرف عن الباب .

الحمد لله .

ولكنه لم يغب طويلاً .. حتى عاد الطارق ومعه بضعة

جال ، وازداد الطرق شدة .

وصاح شملول بصوت مرتجف :

— مين ؟

— افتح بقول لك .. أنا محمود الغفير .

وفتح الباب فإذا به أمام الحفير ورجلين من رجال

الشرطة ، وصاح محمود الغفير موضحاً للعسكريين :

— أنا كنت راقد هنا لقيت واحد خبطنى بالرجل

فى زهرى ، على بال ما فتحت عينى لقيته جرى استخفى فى

البيت وقفل الباب عليه ؟

وصاح أحد العسكريين بشملول :

— بتعمل إيه هنا ؟

— بتفصح .

— بتفصح ؟ . لو حدك . . كده ! مفيش حد مع

— أيوه . لو حدى كده . مامعش غير الولد الصغير ده .

— ودا يبقى مين ؟

— والله ما عرفش . . اسألوا سكينه .

— سكينه ؟ ! هو انت ؟ ! !

وأطبق العسكريين على رقبتة وساقاه أمامهما كأنهما

قد عثرا على مجرم طال البحث عنه .

وصاح به أحدهما وهو يدفعه إلى الأمام :

— . أ مال فين الفلوس ؟

— فلوس إيه ؟

— الفلوس اللي سرقتها البت ، يا ضاللى يا نصاب ، تغوى

البت وتخليها تاخذ الواد والصيغه وتهرب من أسيادها . .

دانا حاخلى ليلتك سوده .

— أسود من كده ؟

وسار شملول أمام العسكريين حتى وصلا إلى المركز .

وهناك علم أن سكينة قد هربت وهى تنزه الطفل من

بيت أخت على القليوبى وسرقت بعض المصوغات (أو هكذا

انهمت) وأنها لم تجد طريقة للتخلص من الطفل غير تركه
في بيت خاله على القليوبي مدعية أن سيدتها ستأتي في أعقابها
ثم تفر كما فرت .

وجلس شملول في المركز والأومباشي ينظر إليه بين
آن وآخر ويسأله متهمًا :

— والبت مستنياك . والا زأغت منك ؟ آه يافلاتي . .
بانصاب .

ولم يجب عليه شملول فقد كان مشغولا بترتيب ماسوف
تشره صحف الصباح !

« موظف محترم يغوى خادمة ! »
أو « اغتصاب وسرقة واختطاف ؟ »
« حدث في منتصف ليلة أمس أن ضبط أحد موظفي وزارة
المالية يحمل مسروقات تقدر بعشرة آلاف جنيه . وهو
يحمل فتاة وطفلا ، (هل يستطيع أن يحمل الفتاة والطفل ؟
يستطيع أو لا يستطيع هذا هو الذي سيقال) .

وشرد ذهنه في سكينته . . وتصور نفسه يحملها . ويلف
ذراعه حول خصرها ويضع كفه تحت إبطها ويلبس صدرها .
وهكذا خرج عن الموضوع وبدأ يقارن بين سكينته
وزكيته . . لا . لا . إن زكية ، أحسن كثيراً ، إن بطن نخذها

أكثر امتلاء . ولكن كيف يحكم ، وهو لم يرخذ سكينه ؟
وأحس بيد الأماشي تجره من عنقه وتسوقه إلى
الزنزانة .

ودخل شملول الزنزانة . . فأحس بالاطمئنان لأول
مرة في الليلة . . إنها على الأقل تعنى خاتمة المطاف ، وهو
يستطيع أن يرقد آمناً بين جدرانها الأربع .

وفي الصباح استيقظ على صوت صديقه على القليوبي
يوقظه ويعتذر إليه عن كل ما حدث وينبئه أنهم قد قبضوا
على سكينه ويختم اعتذاره قائلاً :

— يا الله بينا بقى ياعم نتشطف ونفطر ونطلع نصطاد .
— لا ياعم .. حد الله بينى وبينك ، ورينى سكة المحطة
ياخويا . . توبه إن سبت الناصريه وحى السيده .. هوآ
فيه أحسن من قهوة الانشراح ؟



فہرست

۷	الإهداء
۹	المقدمة
۱۳	الشیخ زعرب وآخرون
۳۳	حسن أفندی
۵۵	زکيه الحفش
۷۹	عبد البر أفندی
۱۰۱	میدو قلب الاسد
۱۲۷	أم نجية
۱۴۷	الواد عطوه
۱۶۷	عبد الجادر عبداللیل
۱۹۱	عبد ربه الصرماتی
۲۱۵	الحاج قطه
۲۳۷	سی جمعه
۲۶۳	الاستاذ شملول